

بحون ووردت في علوم العربية واللغة

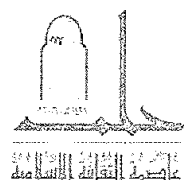
١٠

عَلَامَاتُ الْقُرْآنِ

فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

تأليف الدكتور

عبدالله بن قتيبة



علامات الترقيم

في اللغة العربية

بحوث ودراسات
في علوم العربية والأدب

١٠

علامات الترقيم في اللغة العربية

تأليف الدكتور

فخر الدين قباوة

دار الملتقى بحلب

التصنيف الموضوعي: ٤١٠
الموضوع: اللغة العربية
العنوان: علامات الترقيم
التأليف: د. فخر الدين قباوة
عدد الصفحات: ٧٢
قياس الصفحات: ٢٥ / ١٧
عدد النسخ: ١٠٠٠

دار الملتقى
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع
والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من:

دار الملتقى
للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا - حلب - طلعة الإنشاءات

هاتف: ٢٢١٤٩٦٧ / ٠٢١

تلفاكس: ٢٢٨٩٣٤١ / ٠٢١

جوال: ٠٩٣٤٦٦٩٩٨ - ٠٩٣٣٤٨٢٠٩

ص.ب: ٧٨٤٢

Email: info@dar-almultaqa.com

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

المقدمة

لله وحده الحمد والشكر دائماً وأبداً، لِمَا أولانا من نعم الإيمان والعلم والعمل، ورسم لنا علامات الهداية والتوفيق، ويسر لنا سبل الخدمة لهذه اللغة الكريمة، لغة كتابه العظيم. وعلى محمد أفضل الصلاة والتسليم، وعلى إخوانه الأنبياء والرسل، وعلى آله وأصحابه أطيب الرضا والرحمة والبركات.

وبعد، فقد وجّهنا الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - إلى تقويم العمل وإتقانه بقوله الكريم: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُحِبُّ، إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا، أَنْ يُتَّقِنَهُ». فهو أمر غير صريح بوجوب تسديد كل عمل يقوم به المسلم، أية كانت قيمته في الحياة ومصالح العباد والبلاد؟ وهو كالنهي عن الإهمال والاعتباطية، أو التسبب والاضطراب والعشوائية، في التصرف بسائر الأمور الدينية والدنيوية، لما فيه من إشعار بكره الله - تعالى - لمثل هذه الخدمات الإنسانية المشوّهة.

ثم إن الكتابة عمل عظيم، كرمه المولى - عز وجل - ورفع درجته بين الأعمال الدنيوية كلها، حين قدمها في الخلق، فكان «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الْقَلَمُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». وعلى هذا فأنت - أيها الكاتب أو الناسخ - ممن

أعزك الرحمن في عملك بهذا المخلوق الكريم، فأحر بك أن تتحرى غاية الإتقان، فيما تسطر أناملك من علم أو فن أو فلسفة، لتحفظ بالمرتبة الربانية العالية التي رُسمت لك في الدنيا والآخرة!

وإنما يتحقق لك هذا بجعل ما تكتبه للناس أو لنفسك في أجود صورة، تؤدي المقاصد بدقة وبيان. فبعد حسن الخط - وهو من وسائل الإبانة والعطاء المتقن - يجدر بك أن ترمم ما يضيع بين الكلمات والعبارات، من معالم الوصل والفصل والتلوين الصوتي، لتوضيح دقائق التعبير الكلامي، والعلاقات الحميمة بين عناصر العبارة الواحدة والنص كله.

ولهذا وضع لك الأجداد الكرام صُوي وأعلاماً، محدّدة مفصّلة مخصّصة، تردّ إلى الكلام المسجّل روحه التي افتقدتها بالانتقال إلى الأسطر، بدلاً من أدائه باللسان. وقد استخدم العلماء والكتّاب والنُسخ تلك الوسائل الموحية، في كثير من المصنفات التراثية، ليقدموا لك الصورة العملية المناسبة، ثم وصفوا بعض ذلك في توجيهاتهم بالقول والفعل والتفسير البياني، فصار لديك زاد وافر تستطيع الاعتماد عليه، لصيانة كتابتك من التعمية والخلل والتضليل والفساد.

وقد كان لي، بما قرأتُ وكتبتُ وحققتُ من المصنفات والكتب، ووجّهتُ من البحوث الأدبية واللغوية، شرف الاطلاع على ما لدى المعاصرين من الاعتساف والاعتباطية في توظيف وسائل الترقيم. الأمر الذي يفسد كثيراً من المعلومات والمعارف، ويزود الناس بفوضى هذا الترقيم التعبيري، حتى لا تقوم للأبحاث والدراسات والتراثيات المنشورة قائمة ناجعة منجدة، في تكوين فكر ووضوح رؤية وسداد بيان، وتبقى في حيز القصور وفقدان العطاء.

ولقد طالما واجهتني اللَّمَّزات الظاهرة والخفية، لأني أتابع باهتمام هذه العناصر، وأحاسب فيها نفسي أولاً والدارسين والباحثين والمحققين ثانياً، وتناولتني ألسنتهم بالسوء والغيبة والنمائم، ويعلم الله - تعالى - مدى ما لقيت من التجني والافتئات في تلك الترهات.

كل ذلك لأن بعض الزملاء والطلاب والباحثين والناشرين يعتقدون أن علامات الترقيم هي من نوافل العمل وسطحيات الإجراءات الشخصية، أو الأشكال التزيينية للكلام. بل إن بعض من تابعتُ توجيهه عشرين أو ثلاثين سنة، في مثل هذه المتاهاات أسدّد خطاه وأوجّه رؤاه، قد أصبح يتشكي بامتعاض وتأفف من عبارات التوجيه وإشارات التصويب، ليعود إلى الانفلات والعشوائية السائدة بين الجميع.

ولما تابعت الأمر بحزم وإصرار، وطالعت ما انتشر في المطبوعات، من توجّه استشراقي لتوزيع علامات الترقيم تلمست موطن الداء، داء العشوائية والاعتساف، ثم رأيت رغبة المخلصين للعروبة والإسلام في حضور ما ينجدهم ويسدّد خطاهم، وينقذهم من هذه الزاوية المعكّرة بالتنطع والغوغائية والارتجال، وافتقادهم الدليل المخلص الوفي، والمرشد الواعي الأمين، فكان عليّ أن أضع بين أيديهم كتيباً، يختصر السبل ويقوم الانحرافات، ويرسم الصورة العربية الإسلامية، لإجراء تنفيذ هذه العلامات، فيما تستغرقه السطور الفتية والشابة.

ومن ثمّ جمعت ما لديّ من الخبرة والمعلومات القديمة والحديثة، في هذه الحلقة العاشرة من سلسلة «بحوث ودراسات في علوم العربية والأدب» تحت عنوان «علامات الترقيم في اللغة العربية»، وعرضتها بشكل مفصل مع البيان والنماذج العملية الموضحة، والأدلة المرئية لكل

حريص غيور على لغة القرآن الكريم، يريد انتزاع صورها الكتابية من أحضان العولمات الغازية والتخريب الاستعماري الغاشم.

على أنني كنت أفضل أن يكون العنوان «الترقيم التعبيري في اللغة العربية»، لأن هذه العلامات المذكورة كل منها عبارة عن جملة أو أكثر، تدخل في التركيب اللغوي فعلاً، لتساعد على تمام الكلام وفهمه، مع قراءته صمماً أو جهراً، كما سيتبين لك ذلك قريباً، إن شاء الله.

غير أنني عدلت عن ذلك، لئلا يغيب عن الناس إدراك فحواه، لما هو شائع في الاستعمال بينهم، فيُربغ عن الاطلاع عليه. وبذلك تضيع الفوائد التي قصدتُ. وما دام المصطلح الدارج واضح المفهوم، مقبول التلقي والانتفاع، فلا مُشاحة في الاصطلاح.

ومهما يكن من أمر فإن ما تحصل لديّ، من نثار هذا الموضوع، توزع في فصلين: أولهما بعنوان «التعبير الصوتي»، حيث كان الحديث عما تؤديه اللغة المنطوقة من غايات واسعة المدى، يضيع كثير منها بالتسجيل الصوتي، وأكثر منه بالكتابة المعهودة، إذا سجلت بالمفردات والتراكيب الخالصة دون العلامات اللازمة. ولهذا جاء الترقيم التعبيري يقيم أود البيان، ويرمم الثُّغرات المنبثة في النص، ويقدم أقرب ما يكون من ملامح المضمون الكلامي.

وهنا عرضتُ ما كان في الجاهلية والإسلام، من مصطلحات صوتية، للتعويض من بعض ما فات الكتابة في النقلة الخطية، فكان للأدباء والقراء والمحدثين توجيهات منهجية، للتعبير عن الوقوف والتنغيم والفصل والوصل، سُجلت برموز كتابية، مع بيان المفاهيم المرافقة لها. وقد تأثر الكتاب والمؤلفون والنساخ بذلك فيما يقدمون من التراث

الخطي، مع إضافات شخصية، في نفس الأسلوب المنهجي، تعزُّزُ المسيرة وتملاً ما يجدُّ من المواقف التعبيرية الخاصة.

وبهذا كان لدينا رموز عربية خالصة في القرون الإسلامية الأولى، تستوعب الحاجات الكتابية، للتعبير عما يُفتقد في النقلة من القلب إلى الكتاب. وقد تمثلت هذه الصُّوى البيانية، في كثير من التراث الخطي، ثم كانت القمة في مجالس ابن مالك واليُونيني مع المحدثين من علماء الشام، لتحقيق «صحيح البخاري»، إذ رافقته حصيلة اصطلاحية رمزية جديدة، توجَّتها جهود الأزهريين، في عهد السلطان عبد الحميد، آخر سلاطين الخلافة الإسلامية.

هذا ما انتظم في الفصل الأول. أما الفصل الثاني فقد ضم «الترقيم التعبيري في اللغة العربية»، لنبسط ما شرع فيه المعاصرون من دراسة ويبحث لموضوع الترقيم، إذ أصدر بعض المؤلفين والمحررين كتيبات، تضع الضوابط والرموز اللازمة للنصوص.

ولقد كان في ذلك محاولات بدائية نافعة، لولا أنها وقعت في شباك العولمة مراراً، فدخل النية الطيبة شيء من الدَّخَن الاستعماري، خرَّب الطابع العام للعمل، ثم كان فيما عُرِض من التطبيق بين الناس خلاف للمرسوم من القواعد والمفاهيم. الأمر الذي يبين عدم وضوح الرؤية والتفكير والتخطيط والإجراء. وتوالت المحاولات في نفس الخط، مع بعض التعديلات الفرعية، فلم تستطع أن تجلي الوجه العربي الأصيل.

وهكذا سار الناس على غير هدى، تتوزعهم التوجيهات والتوجُّهات المختلفة، فكان كل يتخذ لنفسه مساراً ملتوياً، تضع فيه معالم التعبير البياني. وفي المدارس والمعاهد والجامعات، أُطلقت الأئنة للتلاميذ والطلاب، يكتبون في الكتابة بنقل المعلومات دون رقابة أو عناية، على

الرغم مما في المناهج التعليمية من دروس مخصصة لعلامات الترقيم، وإلزام بمتابعة التطبيق العملي.

فلا غرو أن صارت الكتابات تتسم بالأمزجة الشخصية - ومحال عليك أن تدرك أسرار ملايين الأمزجة - فرأى القارئ الكريم أن تشتت التوظيف واضطرابه في النصوص المطبوعة يخربان عليه مسيرة الفهم والمتابعة لما بين يديه، وأثر إسقاط العلامات من حسابانه، والقراءة بمزاجه أيضاً. فإذا بما أريد له المعونة جهوداً خُلبيّة ضائعة.

وقد لاحظتُ بعض المجامع العربية ما نعيش فيه من فوضى مزاجية وخلاف سقيم، فأصدرت إقرار المبدأ والاصطلاح، ليسارع الخبراء في التخطيط والتوجيه. وقد حملنا هذا على توضيح مفهوم الترقيم، وتحديد علاماته وما تتلبسه من الوظائف في المواقع المناسبة لها، مع استبعاد الآثار العولمية الشائعة، وتفسير ما بين وظائف الترقيم وإشارات المرور، من قيمة حيوية في تنظيم والتفكير والتعبير، وما يكون من أخطار الاعتبارية في التعامل وإياهما.

ولقد تلمسنا، في خلال البحث والتنظير والتطبيق، ما خلفه أجدادنا العرب والمسلمون، من جهود في الترقيم التعبيري، حدّدت ميدانه وأساليبه والمصطلحات والرموز والمفاهيم الملازمة لها، ونفذتها في كثير من المصادر التراثية كتابة وتفسيراً وتوجيهاً. جمعنا ذلك كله في البحث، وأضفنا إليه بعض اللمسات الفرعية، ليكون مناسباً للعصر الحاضر، قريباً مما ألفه الناس في الشكل والغاية والاستعمال.

وكانت المصادر التي اعتمدناها خلاصة آثار القدماء والمتأخرين من علمائنا العظام، فأشرنا إلى ذلك نصّاً، ثم أحلنا عليه في التعليقات الهامشية،

وزودنا كل جانب نظري بنماذج من التراث الخطي والمنشورات الطباعية، بما فيها من خير وشر، لتكون أمثلة حية على ما ذكرنا. وهي متعددة المنازع والأشكال فيما ترمي إليه.

ومثل هذا الموضوع يبدو للباحث أن مظانّه، في البحث والتطبيق، تتوضع في مصنفات منهجية الكتابة. أعني «أدب الكاتب» لابن قتيبة ونظائره. ولكنني فوجئت بخيبة الظن فيها، إذ لم تعرض له إلاّ لماماً. فكأن الموضوع بتفصيلاته كان حاضراً في الخبرة والذاكرة العملية، كما ذكرنا خلال البحث، يجري على الأقلام بطلاقة، فلا يحتاج إلى نص أو تتبع واستقصاء.

وعلى كل حال، فقد تيسر لنا تعبيد السبيل، وتحديد الأهداف والغايات، وبسط الوسائل والأساليب الموصلة إليها، مع التفسير والتفصيل والبيان، والنماذج العملية المختلفة، لتكون الأمور صالحة للحوار والتجربة والتنفيذ. نسأل الله سداد التوجه وإخلاص النية وحسن الختام.

كلية الآداب بجامعة حلب في ٣٠ من محرم لسنة ١٤٢٦

١١ من آذار لسنة ٢٠٠٥

الأستاذ الدكتور

فخر الدين قباوة

الفصل الأول

التعبير الصوتي

عندما نتأمل الكون والحياة، ونفكر في المسائل والموضوعات، أو نتابع الرؤى والانفعال والخيال، ونصوغ العبارات المؤدية لما تحصل لدينا من المعلومات والتجارب والتطلعات، تتلبس الصيغ والتراكيب في الذهن بما يناسبها من أمواج التنغيم التعبيري، لنقل المقاصد الظاهرة والمرامي البعيدة، والأمواج الانفعالية المتوترة للصيغ والتراكيب، والظلال النفسية التي ترافق كل ذلك.

فالمفردات والأشكال اللغوية تأخذ حيزها في الذهن والجهاز الصوتي إطاراً هيكلياً لتلك المقاصد والمرامي والأمواج والظلال، كصورة رمزية، شبكية تحيط بها وتحمل خطوط مسيرتها وتدفعها، بأشباح خلايا مفرغة جاهزة للنفض بالحياة، ثم تتثال المادة الصوتية المناسبة للدلالة على ذلك كله، وتتوضع في الخلايا لتملأها بالعناصر الفيزيائية كالأعضاء المجسدة كائناتاً حياً نابضاً بالفاعلية والانفعال، يشغل الخلايا بحاجاتها المتطلعة إلى الوجود، مع ما يمازجها من تموجات الإيقاع التعبيري.

هذا ما يتكون في مطاوي النفس وأعضاء التفكير والتدبر والقصد للكلام الباطني. فإن أردنا نقله إلى حيز الوجود أطلقنا له العنان باللسان، فإذا هو يتلبس روحاً تمازج الهيكل والمادة، ليخرج بالتصويت كائناتاً آخر، هو توأم السلف بكامل مضامينه ومقاصده ودلالاته وأمواجه وظلاله، وكأننا نضع السامع في قلوبنا، ليتحسس أعماق التدبر والبيان، من عناصر التفكير والتعبير والتصوير والانبهار.

ذلك لأنه يصطبغ بوسائل جديدة من العناصر الكلامية والنبر الإيقاعي.^(١) فالمقاطع الصوتية تتوالى متفاوتة في القوة والضعف والتوسط، يمازجها كلٌّ من: النبر الدلالي الذي يمثل بيئة المقام بمقتضى الحال، والنبر الصرفي الذي يتوضع في الصيغ بأنواعه الأولية والثانوية، والمقطعية في الوقوف المتفاوتة المدى: وقفة داخلية لطيفة، وداخلية مستمرة، وخارجية مستمرة، وخارجية قاطعة، ونهاية خاتمة.

ويرافق كلاً من هذه الوقفات تنغيم خاص يناسب مقتضى الحال من مقام ومقال، ثم يكون آخر ذلك نبر ضعيف خافت في أساليب الخبر التقريرية، أو متوتر عالٍ في الأساليب الإنشائية.

هذه آلية التنغيم الصوتي، مضافةً إلى التعبير اللغوي بالمفردات والتراكيب، يمارسها كل إنسان في حياته اليومية، أياً كان جنسه؟ ويتواصل بها هو وما حوله من الناس والأجهزة اللاقطة للكلام، فيكون الحوار والتعليم والإخبار والاستخبار والتعاطف الوجداني، كل منها مفعم بالشحنات الإيقاعية المذكورة قبل، نابضة بالحوية معبرة عن كامل المراد، ومنطبعة في أذهان الناس وخلايا الأجهزة، في شكل تصويتي واحد، ومؤدَّى دلالي تختلف انطباعاته بين الجانبين المتلقين.

فما يتلقاه منك الإنسان الحاضر المواجه المتنبه، من هذا التعبير الكلامي، يستغرق كل ما تريده وترمي إليه، لأنه يتلمس خلاله بحواسه وتأملاته ما في جوارحك من الحركات والتقلصات والانفعالات، ويرمم الشغرات النفسية الخفية، بما لا تستطيع وسائل الكلام تعبيراً عنها. هذا هو الأصل، اللهم إلا إذا كنتَ تفتعل ما ليس في نفسك من المعاني، وتظهر غير ما تريد من التوتر والهيجان.

أما ما يتلقاه الجهاز اللاقط للأصوات ويسجله من تعبيرك الكلامي فإنه يفقد ذلك التمثل الحركي وهاتيك التلمسات لكيانك الانفعالي، ويحمل ظاهر التصويت بما فيه من عناصر التنغيم فحسب. وبذلك تضيع معالم كثيرة غنية من مضامين الأداء الكلامي.

ثم إذا أردت أن تنقل أناملك بالقلم ذلك التعبير من الذهن، لتسجله في أسطر أو صفحات، ضاعت في هذه التقلّة عناصر التنغيم مع التحسس الحركي أيضاً، فصار النص أبكم يؤدي أشكالاً خطية، تقدم المعلومات مفرغة من البيئة الانفعالية والمضامين الصوتية الموجهة، بضروب النبر ومقاطع الوقفات.

فهو إذاً في حاجة إلى صَوَى وأعلام تتخلل تضاعيفة، لتعويض ما فاته وغاب فيه من الشُّحنات الإيقاعية المتموجة خلال التركيب، أي: في حاجة إلى رموز كتابية، لها مفاهيم واضحة معيَّنة، تتخلل النص وتسدّد بنيانه الدلالي، وتملاً ما تحصل من ثغرات فراغ التنغيم والإيقاع.

الرمزية اللغوية:

والواقع أن حروف المباني، أي: الألفبائية، هي رموز كتابية يحمل كل منها وظائف من التصويت في التركيب، للتعبير عما تتضمنه العبارة من دلالات ومقاصد وظلال. وهذا أمر مشترك بين جميع اللغات أيضاً، كل منها لها نصيب واف منه، مع خلاف في وسائل التعبير عن ذلك. والعربية لها في هذا تاريخ قديم جداً، يعود إلى أيام عاد، إرم ذات العماد، منذ عشرات آلاف السنين. وهذه آثارهم بالخط المسماري في مواطنهم القديمة، جنوبي الجزيرة العربية وشمالياً.^(١)

فقد امتازت لغتنا الكريمة، عن سائر لغات العالم، بتوظيف رموز صوتية إضافية متعددة الطوابع والسماط: الأولى منها تقييم علاقات حميمة بين الأسر الاشتقاقية للدلالة على معاني المعجم والصيغ الصرفية، والثانية مَهْمَّتْها توطيد العلاقات بين المفردات في التركيب لمعاني الإعراب.^(١)

وأنت ترى صور هذه وتلك موزعة في جميع اللهجات الفصيحة والعامية المستعجمة. فما كان للفصيحة استمر في تطور ونماء وتدقيق وحيوية حتى الآن، لدى القبائل العدنانية ومن جاورها أو عاش بينها، وما كان للعامية بقي له بعض الآثار أماًداً مختلفة في لهجات سائر أبناء إرم، الذين انتشروا من المحيط إلى الخليج، أمثال: الأكاديين والكنعانيين والفينيقيين والأقباط والآراميين والأنباط والسريان والبربر والعموريين والقحطانيين والأحباش.

على أن هذا الاستمرار كان ذا أشكال مختلفة. فالروابط المعجمية الصرفية كان بقاءها أطول من روابط الإعراب، لأن الاندماج في شعوب أعجمية ليس في لغاتها مثل تلك العلاقات الحميمة نقل إلى ألسنة أبناء يعرب عدوى الاستعجام، فاضمحلّت هذه الخصائص الثانية بالتدرّج حتى اندثرت جميع آثارها، ولبثت الأولى تحمل صوراً كثيرة من ملامح الحضور، مع ضروب من الانحراف والامحاق.

وفي خلال تلك الرحلة الطويلة الأمد، تضيّقت إلى مجموعة اللهجات العدنانية رموز ثالثة، تتمثل في الحروف نقاطاً، لتشكيل أسر متقاربة في الصورة دون اللفظ، بين ما هو معجم وما هو خال من الإعجام. وقد استطاعت هذه الضيوف الجديدة مع زميلاتها الصرفية والنحوية أن تجد لها حضوراً في كتابات العرب قبل الإسلام، بصور مختلفة في البيئات العدنانية.

ولذلك ترى لدى كُتّاب الوحي القرآني تفاوتًا ظاهرًا، في درجة التثبيت لبعض صور الإعجام والصرف والإعراب، مما يتلقونه من فم النبي ﷺ. فكلُّ يسجل ما تلقاه من قراءة بالأسلوب التحريري الذي أتقنه عن بيته وقبيلته، من أشكال الرسم والضبط، مضافًا إليها شذرات من تقاليد البيان السياقي المعهود، الذي سنعرض له بعد قليل، إن شاء الله. (١)

ومن ثمَّ كان ما دوّته هؤلاء الصحابة الكرام يحمل قراءات مختلفة، هي سِجِلٌ كامل وافٍ للوحي القرآني، كما نقله الأمين عن الأمين - عليهما السلام - وبلا زيادة أو تصرف. ولما أراد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - جمع القرآن الكريم، بكامل قراءاته الصحيحة الموثقة، علم أن استيعابها في مصحف واحد على تلك الحال غير ممكن إلا بإعادة الكلمة مرارًا، وفي ذلك تخليط واضطراب، ففرّقها في المصاحف الأربعة الشريفة، (٢) بعد أن جُرِّدت جميعها من النقط والشكل، ليحتملها ما صح نقله وتثبت تلاوته بالتلقين النبوي، إذ كان الاعتماد في التسجيل هو على الحفظ في الصدور، لا على مجرد الخط. (٣)

ثم جاء أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩) يجدد تثبيت نقط الإعراب والصرف، ويعممه بأسلوب منهجي كامل متقن، يشمل جميع النص القرآني، وتلاه نصر بن عاصم (ت ٨٩)، بتجديد نقط الإعجام وتعميمه منهجيًا أيضًا، فكانا باعثين ما أغفلته اللجنة العثمانية، وصارت المصاحف بعد ذلك تحمل من الضبط والشكل ما يمثل كل منها القراءة التي تلقاها

(١) انظر علم التحقيق للمخطوطات العربية ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) المقنع ص ١١٥.

(٣) النشر في القراءات العشر ١ : ٧ - ٨ والبرهان ١ : ٢٣٥ - ٢٣٦ والإتقان ١ : ١٣٢.

وانظر علم التحقيق ص ٧٨ - ٨١.

راويها عن شيوخه، وأصبح لدى الناس نسخ كثيرة، يستوعب مجموعها كل القراءات المسندة إلى الرسول الكريم، كما تلقاها عن جبريل الأمين. غير أن ما يحمله اللسان من الإيقاع التعبيري لم يستطع أن يجد له شكلاً يتمثل فيه كاملاً، فبقيت ثغرات منه شاغرة، ملأها القراء بما حفظوا عن الشيوخ المتقنين. ولذلك بعث الخليفة الكريم مع كل مصحف قارئاً يعلم الناس التلاوة التامة لما هو مسجل فيه.

رموز عربية:

ومنذ قديم الزمان، كان أجدادنا الأبرار ومن عاصرهم من الأبناء والحفدة قد لاحظوا هذا الجانب التعبيري المفقود في الكتابة، فامتدت منهم أيادٍ ناصعة واعية، تمنح النصوص كثيراً من الحيوية والقدرات الغائمة، بوساطة رموز شكلية تضاف إلى تركيب العبارة، فتعيد إليه الكثير الكثير مما التفتته سبل الانتقال الكتابي.

ولما كانت حركات الجوارح أموراً مرئية، تعجز عن تأديتها وسائل الكتابة وأصواتها، فلا أقل من محاولة الاحتفاظ بما يمكن من المضامين الصوتية الموجهة، ليبقى للنص قدر كاف من إحياءات الدلالة، وفوائد التعبير المكتسبة.

فقد جاء في قديم التاريخ،^(١) عن الحارث بن أبي شمر الغساني، وجوب تمييز العبارات أو الجمل بفواصلٍ ما يكون فيه وضوح معبر، إذ كان يقول لكتابه الشاعر المرقش الأكبر: «إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء، بمعنى غير ما أنت فيه، فافصل بينه وبين تبعته من الألفاظ. فإنك إن

مذقتَ ألفاظك بغير ما يحسن أن تُمدَّقَ به نفرتَ القلوب عن وعيها، وملته الأسماع، واستثقلته الرواة».

وروي عن أكثم بن صيفي أنه إذا كاتبَ ملوكَ الجاهلية يقول لكتابه: «افصلوا بين كل معنى منقصر، وصلوا الكلام معجوتًا بعضه ببعض». بل إن بُزُرْجُمهر من الأعاجم أيضًا كان يقول لمن يرشده إلى البيان^(١): «إذا مدحتَ رجلًا وهجوتَ آخرَ فاجعل بين القولين فصلًا، حتى يُعرف المدح من الهجاء، كما تفعل في كتبك إذا استأنفت القول، وأكملت ما سلف من اللفظ». وفي هذا بيان لتمييز الفقرات بعضها من بعض.

ذلك وأمثاله، مما لم يصل إلينا خبره، عاش حاضرًا في أذهان كثير من الناس وألستهم وأقلامهم قبل الإسلام. ثم ازداد الأمر وضوحًا بتعاليم الإيمان والتبليغ والدعوة والإصلاح، وكثرة الاهتمام بالبيان في الخطابة والكتابة، فظهرت تجارب جديدة تزيد القواعد تفصيلًا وتبنيًا.

قالت السيدة عائشة أم المؤمنين^(٢): «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام، يُبينه فصلٌ، يحفظه من جلس إليه». وقال معاوية بن أبي سفيان لكتابه الأشدق: «ليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال. فإني شهدتُ رسول الله ﷺ أملى على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كتابًا، وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صريمته»^(٣). وأنت ترى في هذا اهتمامًا دقيقًا، بفصول واضحة لتمييز التراكيب والعبارات، وتمييزًا عامًا يشمل جميع أشكال التعبير.

(١) كتاب الصناعتين ص ٤٤٠.

(٢) سنن الترمذي ٩: ٢٥٧. وانظر صحيح البخاري ص ١٣٠٧ - ١٣٠٨ وصحيح مسلم ص ١٩٤٠.

(٣) كتاب الصناعتين ص ٤٣٩. والمصرم: من تلفت إبله فبقي عنده منها قطعة صغيرة.

وكذلك كان الشأن في الخطاب، تنبيهاً على ما يجب في الكتاب. قال الأحنف بن قيس: «ما رأيتُ رجلاً تكلم فأحسن الوقوفَ عند مقاطع الكلام، وعرفَ حدودَه، إلاَّ عمرو بن العاص - رضي الله عنه - كان إذا تكلم تفقدَ مقاطع الكلام، وأعطى حقَّ المَقام... حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً، يحول بينه وبين تبعته من الألفاظ»^(١) وقد أضافت هذه المقولة مراعاة حق المقام، وما يكون فيه من أساليب الخطاب والكتابة، بألوان الخبر والإنشاء.

ولذا صار أمر الإتقان لوسائل التمييز بين التراكيب مقررًا بين الكُتَّاب، يراعون شأنه وأصوله، ويعطونها حقوقها في الثقافة المهنيَّة. حتى إنَّ عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢) كان يمتحن المرشَّح للعمل بين يديه، فإذا كتب: «خبرك، وحالك وسلامتك»، ففصل بين الكلمتين الأولى والثانية، يقول عمَّا فعل^(٢): «قد استكمل كلُّ حرفٍ منه آله، ووقع الفصل عليه». وقد ذكروا أيضاً، من مظاهر الفصل الواجب، ما كان بمثل: «إنَّ وحتَّى ويل ويلي وليس». وعندما سأل عمرو بن مسعدة (ت ٢١٧) - وهو مشهور بالبلاغة والتقدم في الكتابة - أحدَ معاصريه عن خصائص الكاتب للرسائل، ذكر هذا له بينها: أن يكون عارفاً بالفصول والوصول... والابتداء والجواب.^(٣)

وتقلُّ مثل هذه الأخبار، في مصادر التراث، يعني أنها جاهزة للحضور في الأذهان والألسنة والأقلام، تقتضي المراعاة بما يناسب مقتضى الحال من المقال والمقام. ولذلك فقد لاحظ علماء القرآن أهمية هذه الوسائل الدلالية، وهم يستخدمونها في القراءات عملياً، فوضعوا لها تقاليدَ معيَّنة

(١) كتاب الصناعتين ص ٤٣٨.

(٢) كتاب الصناعتين ص ٤٤٠ - ٤٤١.

(٣) صناعة الكُتَّاب ص ٣٢.

تساعد على الأداء، ومصطلحاتٍ محدّدة لتمييز بعضها من بعض، ورموزاً مخصصة ضابطة ميسرة.

وإليك ما كان لديهم من الوسائل الرمزية، تقابل المصطلح أو الحكم في القراءة، مع خلاف يسير في بعض المواقع:

الوقف الممنوع = لا

الوقف اللازم = م

الوقف الجائز = ج

الوقف الجائز والوصل أولى منه = صلى

الوقف الجائز وهو أولى من الوصل = قلى

تعايق الوقفين بحيث يوقف على أحدهما ويجب وصل الآخر =

يضاف إلى ذلك ما يشار به إلى نهاية الآية بدائرة مرقومة، تفيد الوقف

أحياناً. وفي مجموع هذا، كما ترى، تعبير عن الاستمرار بالوصل، وعن

النقطة وأنواع مواقف الفاصلة، مع زيادة ما لا يعرفه الترقيم المعاصر، وهو

الوقف الممنوع والسكته اللطيفة لتمييز اللفظ الدقيق، أو بيان صورته الصوتية

قبل ما يوجب ذلك - أعني: يا هذا، أو يا فتى - والوقف الجائز بين الشطرين

وبعد القافية والسجعة بحسب المعنى، وفي آخر السطر لمن لم يحفظ تمام

العبارة،^(١) وتعايق الوقفين، وما كان فيه الوصل أو الوقف أولى.

ثم تلا ذلك ما اصطُحَّ عليه، من حروف ونقط وخطوط لأنواع

الوقف على: السكون والروم والإشمام والتضعيف، وما ميزوا فيه الإمالة

والتفخيم والترقيق، والهمز والتشديد والتخفيف والمدّ والإدغام بأنواعهما،

وكلاً من التصويت:^(٢) الاستثباتي والإنكاري والتذكري والترنمي.

(١) انظر فرائد العقود للحلي الورقة ٢٠.

(٢) الترقيم وعلاماته ص ١٠. وأغرب ما في ذلك هو جعل الضمة مقلوبة للدلالة على

الإشمام. انظر إصلاح المنطق ص ٤٢٠.

وللعلماء والقراء أبحاث وإجراءات عملية، تبين تحريّ الدلالات المعنوية، في الوقف والوصل، لبيان المقاصد والمراد،^(١) مع التزام التنعيم المعبر عن أساليب القول والبيان. وكان عبد الله بن عمر قد أوضح ذلك قديماً بنص مشهور،^(٢) ذكر فيه أن الصحابة كانوا يتعلمون ما ينبغي أن يوقف عليه من النص القرآني، وما يكون في ذلك من أمر و زجر... وهذا يعني، بالإضافة إلى أحكام الوصل والوقف والابتداء، وجوب مراعاة النبر والتفخيم والتلبث، لبيان مقاصد الخطاب.

أما المحدثون فقد جعلوا الدائرة المذكورة قبل^(٣) - وهي في الأصل كما قلنا للفصل بين الآيات الكريمة - لتمييز الحديثين أو الفقرتين أو الكلامين، واستخدموا حرف (ح) إشارة إلى التحويل من سند إلى آخر. وقديماً اصطَلَحُوا للعلامة بين المتعاطفين بما يشبه الفاصلة.

قال ابن الصلاح (ت ٦٤٣): «ويوجد في بعض أصول الحديث القديمة، في الإسناد الذي تجتمع فيه جماعة معطوفةٌ أسماءهم بعضها على بعض، علامةٌ تُشبه الضبَّة^(٤) فيما بين أسماءهم، فيتوهم من لا خبرة

(١) جمال القراء ص ٦٦٧ - ٧٣٠ والبرهان في علوم القرآن ١: ٣٤٢ - ٣٧٥ والإتقان في علوم القرآن ١: ١٨٠ - ١٩٤، ومصنفات الوقف والابتداء والتجويد من نحو: القول المفيد في علم التجويد.

(٢) انظر الإتقان ١: ١٨٠ والبرهان ١: ٣٤٢.

(٣) علوم الحديث ص ١٦٥ و ١٨١ .

(٤) علوم الحديث ص ١٧٦ وإرشاد طلاب الحقائق ص ١٤٨ وتصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة ص ٣٠. والضبة نوع من التمريض لما في النص، وهي الرمز بـ«ص» إشارة إلى فساد في العبارة أو خلل، أو وقوع إرسال أو انقطاع في الإسناد، فتقتضي تنبيه القارئ ليحاول البحث عن الصواب، إن أمكن.

له أنها ضبّةٌ، وليست بضبّةً، وكأنها علامة وصلٍ فيما بينها، أثبتت تأكيداً للعطف، خوفاً من أن تُجعل (عن) مكان الواو.

ولعلك لاحظتَ أن هذه الإشارة الأخيرة، لكونها رسماً للحرف (ص)، تعني فعل الأمر: صلْ، أي: أن الكلام متصل مع ما فيه من انتهاء بعض عبارته. فهي تشبه ما يراد بالفاصلة فيما نعرفه اليوم. وقد علق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على ذلك بقوله:

«فهذا النص مُعلمٌ بانتباه المحدثين إلى إنشاء الفاصلة بين السابق واللاحق، لدفع التداخل بينهما، أو لدفع التصحيف بتواصلهما... فهم مستقلون في ابتكار أصل أنواع علامات الترقيم الضابطة والفاصلة، ولم يقتبسوها من غيرهم كالإفرنج. بل لو قيل: إن الإفرنج أخذوها عنهم واقتبسوها من كتبهم، لما كان بعيداً»^(١).

ولأن جميع النُسخ والكتب والمصنّفين يحفظون الشيء الكثير من القرآن الكريم، وبعض الأحاديث الشريفة، فإنهم كانوا يتدربون على ما نهجه القراء والمحدثون من وسائل التعبير عن الوقف والوصل والقطع والابتداء، وما يتخلل ذلك من أساليب البيان لمرامي الخطاب.

وقد انتقل إلى أعمالهم الكتابية بعض ذلك، بما يناسب الموضوعات التي يسجلونها بالقلم. ولهذا فانت ترى التراث الخطي تتوزع فيه أنماط مختلفة من العلامات التعبيرية.^(٢)

(١) الترقيم وعلاماته في اللغة العربية ص ٨ من مطبوعة بيروت لعام ١٣١٦.

(٢) انظر النماذج المصورة في الصفحات التالية.

فقد تجد من يكتفي بالحرف (هـ) وسيلة لختام الفقرة، ومن يضع لهذا الختام دائرة فارغة أو منقوطة للدلالة أيضاً على المعارضة، ومن يجعل نقاطاً ثلاثاً (. .) لذلك الختام، ونقطة ضخمة (●) للفصل بين شطري البيت الشعري، ومن يصل الكلام عند الفراغ الاضطراري في السطر بالنقاط الثلاث، لئلا يُظن أن في الكلام سقطاً أو نقصاً. وقد تستخدم النقاط هذه وسيلة لإنهاء الجملة ضمن الفقرة، ثم إذا انتهت الفقرة ختمت بالحرف (هـ). وإذا كان في النص اقتباس لكلام أحد من العلماء أو الأدباء حددت نهايته بالحرفين (اهـ) تعبيراً عن القول: انتهى.

فكل من أولئك يستعين بما يراه كافياً في الدلالة، ميسراً الاستفادة من دون التباس أو إيهام، مع الاشتراك في تنوع حروف الكتابة شكلاً وضخامة ولوناً، لتمييز العنوان من الموضوع، والمتن من الشرح، والنثر من الشعر، والنص من الحواشي والتعليقات الملحقة به.

على هذه الصور المختلفة أحياناً والمتفقة أحياناً، مع تفاوت في الاستخدام والتمييز، كان التراث الخطي يتحلى بصوياً وأعلام، تساعد القارئ والناسخ على الاستفادة من النص، وإدراك العلاقات بين أجزائه ومرامي المؤلف أو الكاتب أو الشاعر.

فالحاجة حاضرة في أذهان الكتّاب والنُسخ والمؤلفين، يغذونها بما يناسب أعمالهم، ويفيد جماهير الدارسين والناسخين. وقد يضيف أحدهم رمزاً أو رموزاً، لبيان معلومات جديدة خاصة في ذلك الميدان.

ابوابها اشتط الأبد من وقتها وتخرجها
 والآية طابها الناتج من سائر الأبد
 من وعده في غير ذلك من عروق لا يطعم الشهوة بها والنابيل
 الأبيض اللين العليل الذي لا يجير فيه
 وهو النبيك لله
 يخاطب العليل بعينه النور والقدس الأئمة من أئمة الكواكب
 انخلا الألف والتمت من ما بعد النور
 يردى ليطا مثل كعب عبد معبده وجبراد من أناته العليل
 الأدم من الطب البشري وهي أطول الطب
 ربحنا قاراضها آبدانها جده في منها
 وهي طب الجبال والجنات والأراميم

إلى بني الألب من خطاه والعيوب والشبهه
 والفتور
 وأبوابها كجوهل كزور وكما في العيون ضارية الفاسد
 وما يخرج الأصبغ وأن من لها الأكارن الطال كالمز
 الشبهه
 الطب وجبر العضا ويحول لا يفتح
 الأصبغ أن من لها العا والشا الأصبغ
 إبان على العضا فاصبت
 وهو نور خبير بهجور وذا أسير جبراد كما في سلا الخليل
 وفاء
 أنت سبعا في العيون من جبراد من جبراد الجبراد
 بالهلب من جبرادها أنت لا تسعوا الأبد كفاها العيون
 وإن تيسرها أو فالت قد تحب عاوت فواظها هو
 وصوبها

٨٣ ٧٥ ٣٣

و من بعد ان يرى كل ما طغى من ارضه و اقرت من عيسى

و انزلناهم من السماء ماء فافرحوا فاصطفاك الذي بيني

و بينك الفروخ و ذوقه

و قال الاحطل يرحم الله من عوى المندوعى

و ما يصيح بوجع من السوء من جوفه لما خلمه و اهل الطير

يخلم منه و رجلاه و كما يعمى اسيما او يصيح بغير

جاذب الاضغانا ان يبعث بطنه و ان كان ذاك و اقمه

و ان يوقىه و عوى و صدى

فان يخلف عن حزان يهزى ما اهل العاش لنا سوياهم

بصحة يوقىه

و هو من الاحطل يرحم الله على جبر و هضبه

لك تقول فلما نزل الدنا ذبقت الازوضا

انكرت البواذك سبب و فلما متى و العاذا لوزكهم طاف

فما من مسقت لشربهم مقدمه صروف مشيشه كاشا

فطالبت اسقى من اجي منى و ما عدا الزوقه كما قال

و ذكورت و حشرت النبال ههنا مستقفا الى تيات

و امرت اجبان

و قال الاحطل يرحم الله اكلنا

بني ابيك كما انا اوردنا لولاها فكأن لها الصميم

فما جونا من بعد ما لبث عوصا جلا اهلهم صيرت

بنا و جونا بوم و جيل اى ظهور

انظر من الاقرب المكنس

طالبت ابنى لا عزقها لغيره و لا حشيت كثر

البيك ابنى و ايجعل و امها ههنا و

البيك اى استناد من حصى ارضه

فان يردى اذ لنا انا من ثبات و الاطعمه يصيد

واكل و القيس

صاغها النعامه صا بيبهم اذ اوردوا

و و زود من و صمغ

و قال الاحطل يرحم الله اكلنا

ما يفتع بهونا انعام مغرضا فان يفتخرى اى

لا يقبى عيرون

ان انا للبيت فى عيونهم اسبب فوقع الخرج

حكي ههنا الجوز و ذبح اجبى اسبب و الاكيب

د هو الا انفاكى

فَكَرِهْتُ كَمَا تَقُولُ هَذَا لِي عَمِيدٌ عَمِيدِي ٥ وَالنَّصْبُ
 مِنَ الْمَالِ فَوَلَّيْتُهُ أَنْ يَكُنَّ أَجْسَدُ مِنْكَ فَأَيُّهَا أَيُّ نَجَابِ
 جَلْبُوسٍ وَجَابِ فَيَا مِمْ قَالُ الشَّامِرُ ٥
 أَمَا التَّهْلُوكُ وَفِي قَيْدٍ وَبِجَسَلَةٍ وَالدَّبَّارُ فِي جَوْفٍ مَجْرُوبٍ مِنَ السَّاجِ
 رَفَعَ الْبَيْتَ وَالنَّهَارَ لَا حَقَّ لَهَا أَمْسٌ وَلَمْ تَجْعَلْهَا مِثْلَ ظَنُونَا
 وَكَذَلِكَ لَيْزُومُونَ فِي الْبُخْلِ وَلَا يَجْعَلُونَ أَمَّا هَذَا عَلِيٌّ الْجَبَّارُ
 كَقَوْلِ الْفَجْجَلِيِّ عَقْفَى الْبَعْقُورِ فَمَا رَجَحْتَ تَجَارِقَهُمُ وَالنَّجَابَةَ
 لَا تَنْبَغُ فَلْيَلْطَفْ بِالْبُرْجِ فِيهَا نَسِبَ الْعَجَلُ الْبَيْتَانَ وَنَشَلَهُ
 جَدَارًا لِيُبِيدَ أَنْ يَنْعَشَ وَلَا إِرَادَةَ الْجَدَارِ وَقَالَ الشَّامِرُ ٥
 لَقَدْ لُحْنَا يَا مَعْزَمُ فِيهَا رِغَةُ السَّمِيِّ وَنَمَّتْ وَتَالِيَالِ الْبَطْرِ يَا مِمْ
 وَالْبَيْلُ لَا يَتَّامُ وَإِنَّمَا يَنْتَهِرُ فِيهِ وَقَالَ الْآخَرُ ٥
 قَامَ يَلِيٌّ وَتَجَلَّى صَحْبِي ٥
 وَتَقُولُ صَوْلِي فِي تَعْنَانِ وَبُوتَانِ لَا تَكُ تَقُولُ يَلِيٌّ وَبَيْتُهُ
 فَوَيْتَعَانِ فَادَّاقْتُ هُوَيْتِي تَكَانِ الثُّرَيَّا وَهَزَّ جَبْرُ الْبَطْرِ
 تَصْبَعُ لِأَكْرَلِ تَقُولُ بِهِمْ وَبَيْتُهُ تَكَانِ الثُّرَيَّا وَلَا تَزْجُرُ
 الْعُكْبُ وَكَأَنَّ الشَّامِرُ ٥
 وَأَنْتَ تَكَانِي وَيَا بِلِ تَكَانِ الثُّرَيَّا مِنْ أَسْتَبِ الْهَلْمِ ٥

قَالَ جَمْرٌ ٥
 هَذَا بِنُورِ عَمِيٍّ فِي دَسْتُو حَلِيقَةٍ لَوْ شِئْتُ سَأَلْتُكَ أَلِيٌّ مَيْلِي
 نَصَّبَ حَلِيقَتَهُ عَلَى النِّقْطِ مِنَ الْعُرْفِ عَلَى الْإِيْمِ وَالْإِيْمِ
 وَلَا رَفَعَ طَاعَتِي هَذَا بِنُورِ عَمِيٍّ هَذَا حَلِيقَةٌ لِحَاوِزٍ وَعَلَى هَذَا
 يَقْتَرَأُ مِنْ يَقْتَرَأُ وَإِنْ هَلِيهِ أَمْتَعْتُمْ أَنْتُمْ وَأَجَلُهُ فَأَوْرَثَ
 جَعَلَ هَذَا السَّمَاوَاتِ بِرَأْسِ عَمِيٍّ صَفْتَهُ وَحَلِيقَتُهُ حَبْرٌ كَمَا لَوْرَقُ
 وَنَشَلُ هَذَا قَوْلُ الْوَالِدِ ٥
 مَنْ يَكُ ذَا بَيْتٍ فَهَذَا بِنُورِ ٥ مَقِيظُ مَضِيظٍ مَضِيظِي
 أَعْدَدْتُهُ مِنْ نَحَائِبِ بَقِي ٥ سَوِيٌّ جَمَادٍ مِنْ مَطْلَعِ الْفَتْحِ
 مِنْ عَمْرٍ ابْنِ أَبِي وَبَيْتِي بَقِي ٥
 مَعْنَاهُ هَذَا بِنُورِ هَذَا مَقِيظُ هَذَا مَضِيظٍ وَأَمَّا قَوْلُ الشَّامِرِ
 تَوَهَّيْتُ بَابِي لَهَا فَعَرَفْتُهَا بَيْتِي الْكُحَامِ وَقَالَ الْعَامُ سَابِعُ
 رَفَعَ الْعَامُ بِالْجَمَادِ وَسَابِعُ حَبْرٌ وَقَالَ أَيْضًا ٥
 فَجِيءَ كَتَابِي سَابِعُ وَبِي ضَيْلَةٍ مِنَ الْوَقْتِ فِي أَيُّهَا السَّمَاوَاتِ
 فَوَيْتَعَانِ السَّمِ بِالْجَمَادِ وَنَابِعُ حَبْرٌ ٥ وَأَمَّا قَوْلُ الْعَجَلِ
 وَتَعَالَى يَوْمَ هَذَا لَيْدِي عَمِيدُ رَفَعَ عَمِيدًا لِأَيِّ حَبْرٍ

١٠٩ • ١٠٩

وَأَقْبَلْ عَلَىَّ يَا مُجِيبُ الْغَمِّ عَلَيْهِ بِنَاءٍ جَدَّةً وَنَهْمًا
 وَالْأَوْلَى أَوْجِدُ ٥
 أَبَا عَالِيٍّ ذَا فَهْمٍ عَفِيفٍ عَظِيمٍ رَءُوفٍ
 وَأَهْلَانِاتٍ عَفِيفَةٍ تَأْرِيحَانِ لِعِزِّ مَاتَا ٥
٥ اعْلَى لَا مَوْجِعًا حَسْبِي وَحَسْبِيَ ذَا
أَنَا الْفُطْرَانُ بِنِهَايَتِهِمْ مِنْ سَهَابِ الْبُحْرِ وَالْأَهْلَاءُ الْأَهْلَاءُ وَبَدْعُ الْبُحْرَانِ
٥ كَأَنَّكَ الْفُطْرَانُ وَتَوْقِي بِمَنْ حَفِظْتَهُ ٥
 ٥ طَوِيَّ الْأَمْرِ الْأَمْرِ بِشِعْرِ عِزِّي وَعَسْكَرِ دَا ٥
 وَلَا فِي أَسْرَتِي إِلَّا يَمِينُ الْفَوْزِ وَعَسْكَرِي ٥
 ٥ أَمَّا الْقَوْلِيُّ فَتَلَوْتُ الْوَسْطَاءُ فَأَحْسَبُنَا
 طَلَبْنَا حَسْبُنَا مِنْ الْإِسْمِ مَعَهُ وَقَدْ أَتَوْنَا مَعَهُ
 ذَا رِحْلَةٍ وَهَذَا الْخَمْسُ وَالْبَيْتُ وَالْهَمْدُ ٥
 أَمَّا الْبَيْتُ لَا يَجِيبُنِي بِنِهَايَتِهِ ٥
 ٥ وَلَا تَأْتِي عِنْدَهُ إِذَا مَا تَوَدَّى ٥ ١١
 ٥ عَيْشِي سَيْدِي الْبَلَدِ وَتَوْقِي قِسْمِي حَسْبِي ٥
 كَانَ ذَوِي السَّجَاتِ يُعِزُّكَ بِمَعْنِي ٥
 ٥ أَرَبِّ الْعَالَمِينَ ذَا سِتَائِي مَيْمَنِي أَسْرَتِي ٥
 الْأَجْرُ الَّذِينَ إِذَا سَأَلْتَ تَأْتِيكَ يَمِينُهُ فَإِنَّ حِزْرًا مَعَهُ

١٠٩ • ١٠٩

وَأَخْفِ عَنِ النَّاسِ حَيْثُ عَمَّرْتَهُ وَهِيَ بِمَعْنَى الْمَسَاءِ وَالْمَشْرِاقِ
 الْأَيْدِ الْأَسْبَغِينَ الْبَيْتِ الْبَيْتِ وَأَتَمُّ الْبَيْتِ وَالنُّورُ
 حَيْثُ بِيَأْتِي اللَّيْلُ مَرِيرَةٌ فَطَمَّحٌ وَمَطْلَبٌ وَتَهْنِئَةٌ
 وَرَوْحٌ وَجِيَّةٌ وَبَيْنَ كَيْفِ وَنَشْرٌ لَزِي وَتَهْنِئَةٌ
 وَجَعِيَّةٌ وَجَعِيَّةٌ وَجَعِيَّةٌ إِذَا حَمَّ
 وَتَلَاكَ الرَّجُلُ مِمَّنِ الْكَبِيرِ حَسْبِي وَتَلَا هَذَا
 ٥ وَأَدْرُ مَسِيرُ ٥
 ٥ وَبَابٌ رَجِيًا فِي رِشْقِ الْحَبِيبِ ٥
 ٥ إِذَا عَصَى لِمَنْ سَمِعَ الْبَلَّغِ وَأَتَمُّ
 ٥ مِمَّا كَفَى الرَّجُلُ بَيْتِي وَيَسْتَلِبُّ سَبَاً وَمِنْ وَمَا ٥
 ٥ يَسْمَعُو بِهِي يُعِيرُ
 ٥ يَسْمَعُ أَيْ بِنِي آيَةً فِي الْإِسْعَابِ وَتَلَبُّ الْبَيْتِ
 ٥ فَالْبَيْتُ الْبَيْتُ بِنِي وَتَهْنِئَةٌ ٥ وَذَلِكَ الْأَنْفَارُ
 ٥ هَذَا عَمَّا وَالنَّاسِ فِي حَسْبِ عَيْشِي ٥
 ٥ عَيْشِي سَيْدِي حَسْبِي وَأَتَمُّ الْبَيْتِ وَالنُّورُ
 ٥ مِمَّنِ الْكَبِيرِ كَيْفَ لَا أُعْجِبُ وَأَجْمَلُ كَمَا
 ٥ جَعِيَّةٌ وَيَسْتَلِبُّ وَيَسْتَلِبُّ لَمْ تَلَا مَعَهُ فَأَتَمُّ رَجُلٌ

واعلم

•••
 وَيَسْمَعُ طَيَّانًا فِي الْجِبِّ مُرْمَرًا
 وَيَعْلَمُ الْهَيْدَاقَ زَيْدٍ وَهَذَا فِي زَيْدٍ وَرَأْسِي قَائِمًا
 زَيْدٌ وَوَضَعْتُ الَّذِي فِي زَيْدٍ • قَالَا أَسْمَيْتَ لَمْ
 تَبَالِ أَيَّمَا خَيْتَ بَعْدَ إِذْ أَلَمْ تَضْفُفْ وَأَفْرَدْتِ لَمْ كَبْرَ الْإِعْ
 مِ • ثُمَّ وَفَوَكَّلْ بِمَا تَكُنَّ فَمَا جَنَّاعًا وَلَا بِيِّنَاتٍ وَلَا
 جِنَّةً وَصَدْرًا فِي لَأَفْوَكٍ فَمَا جَنَّاعًا إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا فَرَّجْنَا
 فِي الشَّعْرَةِ وَوَيْدِعْتَ كُلَّ أَلْبَابٍ فِي الشَّعْرِ نَجْوَى وَالْكَلِمَاتِ
 لِأَنَّ الشَّعْرَةَ مَوْضِعُ الصُّطْرِ وَالنَّوَى وَالْعَجَاجِ
 خَالِدٌ مِنْ خَلْقِ خَائِبَتِهِمْ وَفَأَمَّا
 بِرَبِّهِمْ
 مَعْرَافَتُهُمْ
 فَهِيَ نَزَقْنَا السَّمَكَةَ بِأَنَّ مَنُوحَةَ وَرَأْسِي السَّمَكَةَ
 وَهِيَ السَّمَكَةُ وَالنَّوَى وَهِيَ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ

بِرَبِّهِمْ
 وَمَا كَانُوا يَخْلُقُونَ فَمَا لَمْ يَكُنْ وَأَتَى الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ
 وَالْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ
 وَفِيمَا تَكُنَّ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ
 يَفِيحُ لِلشَّعْرِ فَمَا لَمْ يَكُنْ
 يَجْرِي فِي كَأَنَّ هَيْدَاقَ السَّمَكَةِ
 يَضَعُ أَطْرَاقَ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ
 الشَّعْرَةَ الْعَصْرَةَ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ
 سَمَكَةَ إِذَا عَصَدَ • وَالْمَهْمُ وَالْمَهْمُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ
 وَوَضَعْتُ الَّذِي فِي زَيْدٍ وَفَأَمَّا
 بِرَبِّهِمْ
 فَهِيَ نَزَقْنَا السَّمَكَةَ بِأَنَّ مَنُوحَةَ وَرَأْسِي السَّمَكَةَ
 وَهِيَ السَّمَكَةُ وَالنَّوَى وَهِيَ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ الْبَيْتُ

وعلى الرغم من هذا كله، وما فيه من تأصيل للوسائل التعبيرية لدى أجدادنا القدماء، وما لهم من أيادٍ ناصعة ورموز محددة في هذا الميدان، فإن المستشرقين وتلاميذهم المستغربين^(١) من العرب والمسلمين ليزعمون أن ما نستعمله نحن اليوم هو من إنجازات الغرب ورجالات الاستشراق، وأن أول من تنبه إلى ذلك هو أرسطوفان،^(٢) من علماء القسطنطينية في القرن الثاني قبل الميلاد.

والحق أن رجالات الاستشراق، عندما وقفوا على هذه الظواهر الفنية في أساليب التعبير الكتابي، لم يستوعبوا مقاصدها العملية، لبعدهم عن الحضارة الإسلامية وحقدهم عليها، فنقلوا بعضها بالتدريج والقصور، وحاولوا استخدامها فيما يكتبون أو ينشرون من تراثنا السليبي، فوضعوا لها رموزاً جديدة للتعمية والانتحال، واضطربوا في التوظيف ومواضع الاستخدام. ثم أقحموا فيها الفاصلة المنقوطة ورموزاً مفتعلة معقدة، زيادة في التعمية، ولم يكن لها وضوح في أذهانهم، فانتقلت إلى آباءنا الأقربين مع صويحباتها، على أنها جميعاً من مبتكرات الفكر الأوربي، كما ترى في مقولات المنظرين من ربائب الاستعمار. وما زالت الأصوات تتعالى بيننا بمثل هذه المزاعم، حتى إن الدارسين والمدرسين يرونها ويسمعونها وينقلونها في كل سبيل، وإن كانوا لا يحسنون الاستخدام والتوظيف.

فقد كانت هيمنة الاستعمار ورجاله تفرض الأحكام العلمية والفنية، ولا تجد من يناقشها في صفوف الأجيال المعولمة بالتلويث الحضاري. وإنك لتلمس بنفسك اليوم أن أولئك المستشرقين قد وضعوا نتاجاً عملياً، فيما نشروا أو صنفوا من الكتابات العربية، مفعماً بالعشوائية والاعتساف وطلاسم

(١) انظر المساعد على بحث التخرج ص ٧٨ - ٩٠.

(٢) الترقيم وعلاماته في اللغة العربية ص ٤ - ٦.

الرموز والتقطع والفوضوية والاضطراب، على غرار ما يثره المشعبدون من السحرة والضارين في المندل، وخلوًا من كل نهج أو رسم أو بيان.^(١)

وما ذلك إلا تعبير عن الاستهانة بلغتنا الحبيب، والاستعلاء والغطرسة من مخلفات العولمة والتبويش، إذ تراهم فيما يضعون من مصنفات في لغاتهم يكتفون بالفاصلة والنقطة وقليل من النقطتين وعلامة الاستفهام، ثم يوظفون من ذلك في كتاباتهم ما يناسبها من العلامات الرمزية، بدقة وانتظام ووافق. فلماذا تكون البلبلة في مكان وظاهر العناية في آخر؟

لقد لمستَ بعينيك وقلبك أن مضمون التعبير الإيقاعي مستوفى برُمته، في أذهان العرب والمسلمين وألستهم وأقلامهم. بل إنك لتجد في التاريخ ما هو أبعد من هذا في الرمز والإيحاء. فقد روي عن أخوين كانا في قديم الزمان متخاصمين متنازعين، لا يتبادلان الكلام في السنة كلها، وهما يعملان معًا في الرعي. فإذا كان وقت العمل قال أحدهما للآخر: ألا تا؟ أي: ألا تنهض؟ وأجابه الثاني: بلى فاء، أي: بلى فانهض. ولما غضب النبي الكريم لتشامخ أنصاريّ بالبناء، فهُدْم ذلك، قال عليه السلام: «أما إنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ، إِلَّا مَا لَا، إِلَّا مَا لَا».^(٢) يعني: إلا ما لا بد منه.

ولمَّا نزل الوحي المبارك بما في القرآن العظيم، وبلغ النبيُّ - عليه السلام - أصحابه ما ورد في أوائل بعض السور من أحرف متقطعة، ذهب العلماء منهم في تفسير ذلك مذاهب متعددة، تشير إلى الوظائف الرمزية التي تحملها في توجيهات المولى - تعالى - للبشر، وفي الفكر العربي وعروبة اللسان. وقد كثرت هذه التأويلات بين المفسرين واللغويين والنحاة،^(٣) دلالة على سعة الأفق الرمزي وشياعه في اللسان العربي.

(١) انظر النماذج المصورة في الصفحات التالية.

(٢) الحديث ٥٢٣٧ في سنن أبي داود.

(٣) تفسير الألووسي ١: ١٧١ - ١٧٢.

1101 mit النباتات — 15. s. 104, 8 mit تُقَادِرُ — 19. جَافَ steht in den Cod. Cod. hinter فَجِشِرَ — 21. s. 121, 4.

156. 4. s. 91, 16. 17. 121, 8. — 13. l. وَخَصًّا; von رُوْبَةٌ, Diw. 29, 61, wie auch Lis. s. v. بَحَج; vgl. Diw. des العِجَاج 19, 30. Kitāb I, 147, 4. — 15. s. 49, 2. 63, 14. — 18. Von رُوْبَةٌ, Diw. 29, 48; anonym zitiert in der Handschrift zum Diw. des العِجَاج bei dem V. Diw. 19, 14 mit كُأَ — 21. Diw. A. 53, 27. Ja'īš 1371.

157. 8. s. 116, 19. — 13. صلاة الخ nicht im Cod. H. — 15. Cod. H. hat noch folgenden Zusatz, dessen Lesung bei seiner ungemein flüchtigen, meist unpunktierten Schrift, nicht überall sicher ist (vgl. Šā' Z. 242 sqq.):

سمه وأبو الفضل محمّد بن ناصر بن محمّد بن عليّ وأبو نضر محمود بن الفضل بن محمود الإصباهانيّ وأبو محمد بن سعد الله بن عليّ بن الحسين أيّوب وأبو منصور . . . بن الدبد (?) طابوق الرّثميّ ومحمّد بن محمد بن الفضل بن دلال الشيبانيّ وأحمد بن محمد ابن أحمد المؤدّب أبو الفيلم ورامية (?) بن عوض بن الحسن المهرديّ وعبد الله بن طاهر ابن عليّ بن فارس والحسين بن محمد بن خسرو البلخيّ والحسين بن عليّ بن الحسين يعرف بطهزاذ الكوفيّ في شعبان من سنة أربع وتسعين وأربع مائه

بلغ من أول الكتاب إلى آخره سماعاً محمد بن ناصر بن محمّد بن عليّ نحو سماعه فيه من الشيخ أبي الحسين بن الطيّوريّ رحمه الله عن أبي عليّ الشاموخيّ عن أبي القاسم بن سيف عن أبي عبد الله اليزيديّ عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ رحمه الله وأبائهم وإيائنا بقراءة الشيخ الإمام الطلم أبي محمّد إسماعيل بن الشيخ الإمام السعيد أبي منصور موهوب ابن أحمد بن محمّد بن [الخضر] الجواليقيّ رحمه الله عليه أخوه الشيخ الطلم أبو طاهر إسحق نفعهما بالعلم والشيخ أبو الحسن عليّ بن يعيش بن سعد بن القواريريّ والشيخ أبو المعالي محمّد بن أبي الرّكاب بن عبد الملك الإسكافيّ والأستاذ * [ريضان بن عبد الله الحلبيّ عتيق أبي المعالي المكيّ] * وذلك في يوم الأحد ثاني عشر شعبان من سنة أربعين وخمس مائة; وكتبه محمّد بن ناصر بخطه في التاريخ في دار الشيخ الإمام أبي محمّد إسماعيل أبقاه الله * — * hat Cod. eine mit Punkten angedeutete Lücke.

١٠ قَلَمًا سَقَيْنَاهَا الْعَكِيسَ تَمَلَّاتٌ مَذَاخِرُهَا وَأَزْدَادَ رَشْحًا وَرِيدُهَا

١٠ قَلَمًا «لَمَّا» (ت) : الأفعال للسرقسطى ، التهذيب ، الجيم ، الغريب المصنّف ، المحكم ٣ .
 تَمَلَّاتٌ «تَمَدَّحَتْ» : التاج ٢٢١/٢ ، ١٣ و ١٩٤/٤ ، التكملة ١٠٣/٢ ، الصحاح ١ ،
 الغريب المصنّف ، اللسان ٤٢٧/٣ ، ٣ و ٢٢/٨ ، المحكم ١ . تَمَلَّاتٌ «تَمَدَّحَتْ» :
 الأفعال للسرقسطى ، التاج ٢٢١/٢ ، - ١٥ و ١٧٩/٣ و ٢٢٣ ، التكملة ١٠٤/٢ ،
 التهذيب ١ و ٤ ، تهذيب الألفاظ ، ديوان الأدب ، الصحاح ٢ ، العقد ، اللسان ٤٢٧/٣ ،
 - ٢ و ٣٢٢/٥ و ٣٩٠ ، المحكم ٣ و ٥ ، المخصّص ، المعاني الكبير ، نظام الغريب .
 مذاخرها «خواصرها» : الأفعال للسرقسطى ، التاج ٢٢١/٢ ، ١٣ و ٢٢١ ، - ١٥ و
 ١٧٩/٣ و ١٩٤/٤ ، التكملة ١٠٣/٢ و ١٠٤ ، التهذيب ١ و ٤ ، ديوان الأدب ،
 الصحاح ١ ، العقد ، الغريب المصنّف ، اللسان ٤٢٧/٣ ، ٣ و ٤٢٧ ، - ٢ و ٣٢٢/٥
 و ٢٢/٨ ، المحكم ١ و ٣ و ٥ ، المخصّص ، نظام الغريب . مذاخرها «مناخرها» (ت) :
 الجيم . وازداد «وارفض» : تهذيب الألفاظ ، الحماسة (شرح التبريزى) ، المقاييس ٤ .
 وازداد «وامتد» : البصائر للفيروزابادى . رشحًا «رشأ» (ت) : العين .

٤١/٢٧ ، - ١ ، الكشاف ٤١٥/٢ ، ٨ (الصدر وحده) (دون نسبة) ؛ تفسير
 القرطبي ٨٢/١٧ ، - ٨ ؛ البحر المحيط ١٥٧/٨ ، ١٠ (دون نسبة) . مجاز
 القرآن ← الأزمنة والأمكنة ١٨٥/١ ، ١١ || البرصان والعرجان ١٨٠ ، - ٣
 (دون نسبة) ؛ البخلاء ٢٣١ ، ٨ || الأنواء ٢٣ ، - ١ = المعاني الكبير
 ٣٧٥/١ ، - ٦ ← الجمان لابن نايقا ١٩١ ، - ٤ || الكامل (ل) ٣٨١ ، ٩ / (ق)
 ٢٤٦/٢ ، ٨ (دون نسبة) ← تفسير القرطبي ١٥٤/١٧ ، ١١ (دون نسبة) ||
 التهذيب ١٢٧/١١ ع ب ، - ٩ (نجم) (دون نسبة) ← اللسان ٤٦/١٦ ، ٧
 و ٤٧ ، ٦ (نجم) ← التاج ٧٢/٩ ، ١٠ (نجم) || شرح تهذيب الألفاظ
 للتبريزى ٦٤٠ ، - ٤ || شرح سقط الزند للبطلوسى ١٢٠/١ ، ٥ .
 Sch. Ind. ٧٩ ع ب ، ٩ .

١٠ العين ٢١٦ ، - ٨ (عكس) ← المقاييس ١٠٧/٤ ، - ٨ (عكس) (دون
 نسبة) ؛ نظام الغريب ٦٢ ، - ٢ || الجيم ٣٤٥/٢ ع ب ، - ٢ (عكس) (دون

- تُدغم إلا في مثلها كقوله تعالى وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ وَقُرَى نَحْسِفَ بِهِمْ بِادْغَامِهَا
 ٧٥٤ في الباء وهو ضعيف تفرّد به الكسائي وتُدغم فيها الباء ء فصل
 والباء تُدغم في مثلها قرأ ابو عمرو لَدَهَبَ يَسْمَعِيهِمْ وفي الفاء والميم نحو
 ٧٥٥ اذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُدغم فيها إلا مثلها ء فصل
 والميم لا تُدغم إلا في مثلها قال الله تعالى فَتَلَقَى آتَمَ مِنْ رَبِّهِ وَتُدغم فيها ٥
 ٧٥٦ البنون والباء ء فصل وإقتعل إذا كان بعد تأنها مثلها جاز فيه
 البيان والانغام والانغام سبيلُهُ ان تَسْكُنَ اثناء الأولى وتُدغم في الثانية
 وتُنقل حركتها الى الفاء فيستغنى بالحركة عن همزة الوصل فيقال قَتَلُوا بِالْفَتْحِ
 ومنهم من يحذف الحركة ولا ينقلها فيلتقى ساكنان فيجرك الفاء بالكسر فيقول
 قَتَلُوا فَمَنْ فَتَحَ قَالَ يَقْتَلُونَ وَمُقْتَلُونَ بفتح الفاء وَمَنْ كَسَرَ قَالَ يَقْتَلُونَ
 ١٠ وَمُقْتَلُونَ بكسرها ويجوز مُقْتَلُونَ بالنصب اتباعاً للميم كما حكي عن بعضهم
 مُرْتَجِينَ وتقلب مع تسعة احرف اذا كُنَّ قبلها مع الطاء والظاء والصاد
 والصاد ضاء ومع الدال والذال والزاي دالا ومع التاء والسين تاء وسبينا فاما
 مع الطاء فتُدغم ليس إلا كقولك اَطْلَبْ واطعنوا ومع الظاء تُبين وتُدغم
 بقلب الظاء طاء او الطاء ظاء كقولك اِظْلَمَ واطلم واطلم ورويت الثلثة في ١٥
 بيت زهير * وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيُظْلِمُ * ومع الصاد تُبين وتُدغم بقلب الطاء
 صادا كقولك اِضْطَرَبَ واضرب ولا يجوز اطرب وقد حكي اطجع في اصطجع
 وهو في الغرابة كالضجع ومع الصاد تُبين وتُدغم بقلب الطاء صادا كقولك
 مُضْطَبِرٌ ومضبر واصطفى واصطلى واصفى واصلى وقري إلا أن يصلحها ولا يجوز
 مُطَبِرٌ وتقلب مع الدال والذال والزاي دالا مع الدال والذال تُدغم كقولك
 ٢٠ اِدَانَ وَاذَكَرَ وَاذَكَرَ وحكى ابو عمرو عنهم اذَكَرَ وهو مُذَكِرٌ وقال الشاعر

• للامم السامية كان في نواحي جنوب العراق على نهر الفرات وقد سرد عدداً من الكلمات المألوفة في جميع اللغات السامية عن العمران والحيوان والنبات وقال ان أول من استعملها هي أمم تلك المنطقة ثم أخذها عنهم جميع الساميين ولكن نولدكه (Noeldeke) يعارضه في هذه النظرية معارضة شديدة ويقول إن من العبث أن نعتمد في إثبات حقيقة كهذه على جملة كلمات ليس ما يثبت لنا أن جميع الساميين أخذوها عن أهل العراق ثم يذهب في تأييد معارضته الى سرد بعض كلمات عن الحيوان والعمران كانت ولا شك عند جميع الامم السامية من أقدم الأزمنة مثل جبل وصبي وخيمة وشيخ واسود وضرب فهذه المعاني تختلف تسميتها فكل لغة سامية منها تسميها باسم يغير الاسم الذي تطلقه عليه اللغة الاخرى مع أنها أجدر المعاني بأن يكون لها لفظ مشترك في كل اللغات السامية لأنها كانت موجودة عند الجميع حين كانوا أمة واحدة وحين تفرقوا أمماً شتى^(١)

من كل هذا يتبين أن من العسير أن نجزم برأى في المهد الأصلي للامم

السامية

والذي يمكننا أن نجزم به هو أن أكثر الحركات والهجرات عند أغلب الأمم السامية التي علمنا أخبارها وأسماءها كانت من نزوح جموع سامية من أرض الجزيرة الى البلدان العمورة الدانية والقاصية في عصور مختلفة . فأقدم هجرة سامية اتجهت نحو بابل كانت من ناحية الجزيرة وقد أسست تلك الجموع ملكاً عظيماً في بقعة الفرات كان لها من الحول والطول حظ وافر في عصور شتى

وكذلك هاجرت البطون الكنعانية والآرامية تاركة بلاد العرب وكان لحوادثها أثر عظيم في حياة العالم القديم ثم كانت الهجرة الاسرائيلية التي فتحت بلاد فلسطين بعد أن صدرت من الجزيرة العربية وكان هذا الفتح سبباً لتقلبات اجتماعية ودينية كثيرة كبيرة الأثر في التاريخ العام

وفي ارض بين البصرة والكوفة فقبل عميرة الى سلمى عشاء فقال يا سلمى كيف انت لو
 قد جاء علمان بكر بن وائل بنساء قومك يقودونهن واني رجل موكل بي فلا تعينيني 014
 على حيلتي ابرم بها قلت فاني اعينك بما اردت وفي حيلتي يرافع بن ابرم منم فاصبح
 الناس طاعنين وقالت اني ماخص فصار عميرة في السلف المتقدمين ثم قل لحرقصة لعلني
 لو رجعت الى اهلي فاحتملتهم فقد ولدت صاحبتهم فقال حرقصة لا ابل ان تفعل فكر
 عميرة على ناقة له يقال لها الجبينة فلقى المرأة قد احتيلت في وصواحبها فوافقتها فقالت
 قد خبات حيث كان فراشي زائدك وسقاءك مضى حتى استنارها ثم نفذ فلم يقفده الناس
 حتى تحالوا مغرب الشمس ففقدته حرقصة فالى اخته مريم امرأة عميرة فقال لها اين هو
 قدمت لاانا ضحى فوافقنا ثم مضى الى دارنا فلم نره بعد فاستحيى حرقصة ان يذكر
 امره لاحد حتى جن عليه الليل وتحدث به الرجال من قبل النساء فقبلوا الى حرقصة
 فقالوا وبلك ما صنع الرجل قال ما اظنه الا ذهب فلوا لن تكن في شك فلما مستيقنون
 فصار عميرة يومه وليلته والغد حتى اذا لقي أنف الزور من الصحراء وغربت الشمس
 انج فحل راحلته وقبدها وعصب يديها ثم لم حتى اذا علاه الليل فلم ير الناقة قال
 فسميت يميناً وشمالاً فاذا انا بسواد من الليل عظيم فحسبته للجيش فبث ارضده اخاف L 26
 ان يأخذوني حتى اضاء الصبح فاذا خمسون ومائة نعامه واذا نلتني تحضر قائمة قريبة
 متى فلما غضبان على نفسي فاجددت الشير يومى ذاك حتى ارد سفار فاجد في منازل
 انقوم نسعة فسقيت راحلتي (وسفار ماء لبي تميم) وطعمت من تمر كان معي وشويت
 ثم ركبت مسمى الثالثة فاصبحت بالخطامة من ذى كريب فاذا انا بناس يعلقون السدر

وانسلف المتقدمين (sic) اسم الى L, المتقدمين 4. علمن L, علمان O 2
 اى نزلوا L, indistinct, with the gloss (?) تحالوا O 8. من النساء والاموال.
 O L 17. and ارد 16. (sic, without) L, واتج O 13.
 -اللبى، وسفار ما لسمى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم : L has orig. تسعة O, تسعة.
 O. , كريب 16.

٦٧ أَدَاكَ أَمْ نَمِشَ بِالْوَشِيِّ أَكْرَعَهُ مَسْفَعُ الْخَدِّ غَادٍ نَاشِطٌ شَبِّبُ

[C] يقول اذاك المسحج الذي يطرد هذه الآتن شبه ناقتى امر ثور نمش ثم اندفع بصفه والتمش مصدر وهو أن تكون فى الاكرع نقط سود والوشى والشية مصدران من وشى¹ ووشيته اذا جعلت فيه ألوانا مختلفة والكراع ما بين الركبة والبرسخ وقوله مسفع أى أسود الخد غاد أى ذاهب من موضع الى موضع وقوله ناشط شبيب أى قد تم سنه وقوته أى هو مشبب والوشية مصران من وشية [C]¹

٦٨ تَقِيظُ الرَّمْلَ حَتَّى هَزَّ خِلْفَتَهُ تَرَوِّحُ البَرْدِ مَا فِي عَيْشِهِ رَتْبُ

[C] تَقِيظُ أى أقام فى القِيظ وقوله حَتَّى هَزَّ أى حرك وقوله خِلْفَتَهُ والمراد بالخلفة نبت فى آخر الصيف وقوله تَرَوِّحُ البَرْدِ أى هَبَّتْ نسيم فيه البَرْد الليل وقوله رَتْبُ أى ما اشرف على الارض كالدرج وفيه غلظ وشدة

٦٩ رَبَلًا وَأَرطَى نَفْتٌ عَنْهُ ذَوَائِبُهُ كَوَاكِبُ القَيْظِ حَتَّى مَاتَتِ الشَّهْبُ

[C] الربل نبت فى آخر الصيف بلا مطر والارطى نبت يشبه الطرفاء والذوائب هنا اغصان الشجر كذوائب المرأة وقوله كَوَاكِبُ القَيْظِ هذا على طريق الاستعارة يريد انه كواكب حرّ القَيْظِ لحدف المضاف واقام المضاف اليه والشهب جمع شهاب والمراد هنا شدة الحرّ كشهاب النار شعلتها يقول كانت تقع فى صيفه ويستظلّ بالارطى فكانت غصون الارطى تظله وتقيه من وهج الحرّ حَتَّى سقطت كواكب القَيْظِ وجاء الخريف والشتاء
الحرّ [C]¹ الحرّ [C]²

(67) LA viii 252; TA iv 360 (anon) عاد—LA (نشط) ix 291; TA v 231—هاو—TA (سفع) v 381—El Gauh. (نشط) i 567—Muljibh. 19—BM (1) نمش بالوشى

(68) LA i 395; TA i 266—El Gauh. i 55—TA (قيظ) v 260; فى عيشه عتب BM—Lane 2579—AsAs (قيظ) ii 191—vi 96—(خلف) ... وتروّح البَرْدِ ما ينبت فى برد الليل وهو خيلفته وهزه BM achol. البَرْدِ حرّكه فاحضر ما فى عيشه عتب يقول ليس فى عيشه غلظ وشدة الربل ما تروّبل من النبت فجاء حرّ الصيف بصيبه برد الليل فهبت بلا مطر

(69) El Fārisi 152r—AsAs (موت) ii 265—BM—ربلا C*—ربلا L*—BM (1), BM (2)—القيظ but corrected in margin to كواكب الحرّ C الربل ضرب من الشجر اذا اشتدّ الحرّ اشتدّ خضرته—Gauh. الحرّ

٩٧ (المسلم بن الطور)

إذا فرأيت العلة إلى ترتيبها فارها في وسكان أو الجساء إذا تأتبت في^(١) الميت فاحتاج إلى أن يشتسر ما قلت فتمت عليه وقلت انظر إلى الذي رتبة الإجابة يجهل لغة العرب التي بها نزل كلام رب العالمين وجاء حديث سيد الرسلين والناظرة إنما اشتقت من الظير وليس هذا بتعريي جلّه بأحد العلوم التي يلزم الجهد القيام بها وكثر^(٢) انظر أهل المجلس وانقسموا فرقتين فرقة لي وفرقة علي واقفك المجلس على ذلك وشاع في الناس أني قطفه . وكان الظير قد أقام بالقدس مدة فاجتاز به الملك الميرز عثمان بن صلاح الدين يوسف فرآه عند الصغرة يدرس فسأل عنه فمُتَرَفَ منزهة من العلم فاحضره عنده ورغبه في المصير معه ليصح به شباب الدين أما الشيخ الطوسي اني تمه عليه فورد^{١٥} . . . إلى القاهرة واجرى عليه كل شرسين ديناراً ومائة رطل خبزاً وخروفاً وشحمة كل يوم ومال إليه الناس من الجند وغيرهم من الطعام وصار له سوق قائم إلى أن تفر الميرز الناظرة بينه وبين الطوسي في غده عيده وعزم الظير أن يسلك مع الطوسي وقت الناظرة طريق الجير من^{١٥} الناظرة لأن الطوسي كان يعلم الغنوظ إلا أنه كان جريماً متنبهاً شديداً .^{١٥} المناظرة واتفق أن ركب الميرز يوم السيد وركب معه الظير والطوسي فقال الظير للميرز في أثناء الكلام أنت يا مولانا من أهل الجنة فوجد الطوسي السبيل إلى مماته فقال وما يدريك أنه من أهل الجنة وكيف تركي على الله تعالى فقال له الظير قد ركب رسول الله صل الله عليه

(١) له في (٢) ق واكثر

٩٦ (المسلم بن الطور)

اليهود لم تأتت فانه لا يعرف هذه النصوص بالبرانية الا من تدرب بهذه اللغة . وكان الناب عليه علم الادب حتى لقد رأيت الشيخ أبا الفتح عثمان بن عيسى النعماني البجلي وهو شيخ الناس يومئذ بالدير المصري يسأله سؤال المستفيد عن حروف من حواشي^(١) اللغة وسأله يوماً بمضري عما وقع في الفاظ العرب على مثال شقشطب فقال هذا يسمى في كلام العرب المنصوت وسمناه ان الكلمة منصوتة من كلمين كما نصحت النجار خنثيين ويجهلها واحداً فنشطب منصوت من شق وحطب فسأله البجلي ان يثبت له ما وقع من هذا المثال اليه ليمسك في معرفتها عليه فاملاها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه وسأها كتاب تتيه البارمين على المنصوت من كلام الرب^(٢) . قال ورأيت السيد ابا القاسم هبة الله بن الرشيد جعفر بن سناه الملك بسأله على وجه الامتحان عن كلمات من غريب كلام الرب وهو يجيب عنها بشواردها . وكان القاضي القاضل عبيد الرحيم بن البيهقي قد وضعه على ذلك . قال وحديثي عن نفسه قال لما دخلت خوزستان لقيت بها الجير البندادي تلميذ الشورستاني وكان مبرزاً في علوم النظر فاحب صاحب خوزستان ان يجيب بيتا للناظرة في جلسه واني ذلك فاشتقت من الاتصاح لمرفعي بوفور بصاعة الجير من علم الكلام وعرفت ان بصاعته من اللغة ترزة فلما جلسنا للناظرة والجلس فاسأه باللهاء قتلت له تعرض الكلام

(١) له حواشي (٢) ارورد السيوطي هذه الجملة في زمزمه (١ : ٢٣٣)

وذكر انه لم يقف على الكتاب

له صلواتها وخراجها فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين
فجعل على شرطه عبدالله بن ابي حرملة البلوي فذكر بعض اشياخ مصر ان
قيساً لثقي محمد بن ابي بكر فقال له: إنه لا يمتعني نصحي لك ولأمير المؤمنين
عزله أباي ولقد عزلني من غير وهن ولا عجز فاحفظ عني ما اوصيك به
يدم (١) صلاح حالك: دع معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وبسر بن ابي
أرطاة ومن ضوى اليهم على ما هم عليه تكشفيهم (٢) عن رأيهم فإن اتوك ولم
يفعلوا فاقبلهم وان تخلفوا (٣) عليك فلا تطلبهم: وانظر هذا الحي من مضر (٤)
فانت اولى بهم مني فألن لهم جناحك، وقرب عليهم مكانك وارفع عنهم
حجابك وانظر هذا الحي من مذليج فدعهم وما غلبوا عليه يكفوا عنك
١٠ شأنهم وأزل الناس من بعد على قدر منازلهم وان استطعت ان تعود
المرضى (٥) وتشهد الجنائز فافعل فإن هذا لا ينقصك وان تفعل إنك والله
ما علمت لتظهر الحياء، وتجب الرياسة وتسارع الى ما هو ساقط عنك
والله [١١ ب] موقفك. فعيل محمد بخلاف ما اوصاه قيس فكتب
الى ابن سديج والخارجة معه يدعوهم الى بيعته فلم يجيبوه فبعث بابي
١٥ عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي الى دور الخارجة فهدمها ونهب اموالهم
وسجن ذراريهم فبلغهم ذلك فنصبوا له الحرب وهموا بالنهوض اليه فلما
علم انه لا قوة له بهم امسك عنهم

(١) في الاصل: يدوم والاصح الذي في المخطوط (ج ٢ ص ٣٣٧) حيث وردت هذه الرواية

(٢) في المخطوط: لا تكفهم من رأيهم

(٣) في الاصل: مصر واتبعنا المخطوط

(٤) في الاصل: تخلفوا

(٥) في الاصل: المرض

وَأَنْصَرَفَ عُمَيْرٌ إِلَى عَسْكَرِهِ وَبَلَغَ بَنِي تَغْلِبَ مَقْتَلِ شُعَيْثٍ فَحَمِيَتْ عَلَى
 الْقِتَالِ وَاجْتَمَعَتْ لَذَلِكَ وَتَذَامَرَتْ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقَدْ كَانَ حَنْظَلَةُ بْنُ
 هُوَيْرِ جُرْحٍ فِي يَوْمِ الْحَمِيْسِ جِرَاحَةً مَاتَ فِيهَا فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّ تِلْكَ الْجِرَاحَةَ قَاتِلَتُهُ
 قَالَ يَا بَنِي تَغْلِبَ اتَّهَمُونِي عَلَيْكُمْ قَالُوا لَا وَلَكِنَّا نَتَيَسَّنُّ بِكُمْ يَا بَنِي كِنَانَةَ قَالَ
 فَأَطِيعُونِي وَوَلُّوا أَمْرَكُمْ مَرَّادُ بْنُ عَلْقَمَةَ الزُّهَيْرِيُّ فَأَنِي لَا أَعْلَمُ فِي رِبِيعَةَ رَجُلًا أَسَدًا
 رَأْيًا مِنْهُ وَلَا أَبْصَرَ بِالْحَرْبِ ففَعَلُوا وَجَعَلُوا الْأَمْرَ لِمَرَّادٍ فَلَمَّ يَبْصَحُ مَرَّادٌ حَتَّى
 وَضَعَ تَغْلِبَ عَلَى رَأْيَاتِهَا وَأَمَرَ كُلَّ بَنِي أَبِي أَنْ يَجْعَلُوا نِسَاءَهُمْ خَلْفَهُمْ وَعِبَاءَهُمْ
 مَحْضَنُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ حَنْجُودِ الْإِبْنَاوِيِّ أَحَدُ الْإِبْنَااءِ وَكَانَ مَحْضَنُ أَفَلَّتَ مِنْ أَصْحَابِ
 شُعَيْثٍ يَوْمَ قُتِلَ وَإِذَا كَانَتْ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا قَبَائِلُ صَغَارٌ سَثُوا الْإِبْنَااءَ فَلَمَّا كَانَ
 يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَشْرَقَتْ تَغْلِبَ عَلَى تَلِّ الْحِشَاكِ وَنَادَى مُنَادٍ مِنْهُمْ لِيَسْمِيَنَّ كُلُّ حَيٍّ عَلَى
 ٢٨^أ نَاحِيَتِهِمْ حَتَّى يُعْرِفَ أَلَّ أَهْلَ الْخَفَاطِ وَالصَّبْرِ فَلَمَّا أَبْصَرَ عُمَيْرُ الصَّفِيْنَ قَالَ هَذِهِ
 مُقَاتِلَةُ بَنِي تَغْلِبَ فَمَا هَاؤُلَاءِ الَّذِينَ خَلْفَهُمْ قَالُوا أَبْنَاؤُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ قَالَ أَنِي أَرَى
 جَمِيعِينَ لَا يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ وَرَجَعَ عُمَيْرٌ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قَيْسِ أَنْ
 تَغْلِبَ حَيٌّ بَدُوٌّ وَقَدْ اجْتَمَعُوا لِقِتَالِكُمْ وَأَنْتُمْ لَمْ يَنْزِلُوا بِعَقْوَةِ قَوْمِ نِسَائِهِمْ إِلَّا
 أَخَلُّوا لَهُمُ الْأَرْضَ فَأَطِيعُونِي وَارْحَلُوا عَنْهُمْ فَانْكُمْ أَنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَفَرَّقُوا لِجَبْدَاهُمْ
 وَمَا تَصْلَحُ مَوَاشِيَهُمْ فَإِذَا اتَّانِي تَفَرَّقْتُمْ شَدَّدْنَا عَلَيْهِمْ حَيًّا حَيًّا وَقَدْ كَانَ آتَهُ فِي غَدَاةِ
 يَوْمِ الْجُمُعَةِ عُمَيْرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ خَارِجَةَ الزُّنَارِيِّ فِي عَدَّةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُونُوا
 حَاضِرُوا الْقِتَالِ يَوْمَ الْحَمِيْسِ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ الصَّنَمَاءِ أُجِنَّا حِينَ أَصَابَكَ مَا أَصَابَ قَالَ
 سَتَعْلَمُ مِنَ الْإِجَابِ وَلَكِنْ أَصْحَابِي قَدْ جُرِحُوا وَكَأَنِّي بِكُمْ لَوْ قَدْ صَدَرَتْ تَغْلِبُ
 أَنْفَرَجْتُمْ عَنِّي أَنْفَرَجَ الرَّاسِ وَبَقِيْتُ أَنَا فِي أَصْحَابِي قَالُوا سَتَعْلَمُ غَيْرَ ذَلِكَ وَنَادَى
 مَرَّادُ بْنُ عَلْقَمَةَ يَا مَعْشَرَ بَنِي تَغْلِبَ الزُّمُوا مَصَافِكُمْ حَتَّى أَمْرَكُمْ وَدَنَا مِنْهُمْ
 أَصْحَابُ عُمَيْرِ وَكَانَ فِي الْقَلْبِ عُبَيْدَةُ بْنُ هَزَامِ الْعَدَوِيِّ فِي عَدِي تَغْلِبَ وَزَيْدُ بْنُ
 عَمْرٍو وَمَالِكُ بْنُ مَالِكٍ وَالْحَرِثُ بْنُ مَالِكٍ وَكَانَ الظُّهَارُ بْنُ جَعْوَانَ أَخُو بَنِي
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَيْمٍ صَاحِبَ رَايَةَ بَنِي مَالِكِ بْنِ بَكْرِ فَتَطَّحَ عُمَيْرٌ بِمَيْسِرَتِهِ مَيْسِرَةَ بَنِي
 تَغْلِبَ وَهُمْ رَجَالَةٌ عَلَى شَاطِئِ الثَّرَاثِ فَتَحَاثُوا لِلرَّكْبِ وَشَدَّتْ مَيْسِرَتُهُ عَلَى مَيْسِرَةِ
 تَغْلِبَ وَالنَّمْرُ فَازَ أَلْوَهُمْ عَنْ مَوْضِعِهِمْ فَالْتَقَوْا مِنْ وَرَاءِ مَيْسِرَةِ الْقَيْسِيَّةِ وَكَثُرَتْهُمْ
 ٢٨^ب تَغْلِبَ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا الضَّرْبُ أَلَّ وَذَلِكَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فَقَاتَلُوهُمْ إِلَى الْعَصْرِ

يَبْنِي فَرَسًا أَفْرَعُ نَفْسَ كَيْفِيهِ . وَأَنَّ الشَّيْءَ بِمَعْنَى حَانَ يَبْنِي أَيْنًا وَأَيْ يَأْبِي وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ^١ أَلَمْ يَأْتِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ آيَةٍ يَبْنِي عَنْهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

^٢ أَلَا يَبْنِي لِي أَنْ تُجَلِّيَ عَمَائِي وَأَقْصِرَ عَنِّي لَيْلِي قَدْ آتَى لِيَا

فجاء هذا الشاعر بهاتين اللَّغَتَيْنِ جَمِيعًا وَقَوْلُهُ أَلَا يَبْنِي لِي مِنْ قَوْلِكَ أَنَّ ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ بَلَى قَدْ آتَى لِيَا فِجَاءً بِاللَّغَتَيْنِ فِي يَبْنِي . وَقَالَ الْقَرَّاءُ إِنَّ شِئْتَ جَعَلْتَهُمَا جَمِيعًا مِنْ لَفْتَةٍ وَاحِدَةٍ كَأَنَّهُ أَرَادَ قَوْلَهُ أَلَا يَبْنِي لِي يَأْتِي لِي ثُمَّ أَدْنَمَ النَّوْنَ عِنْدَ اللَّامِ وَالَّتِي حَرَكَتُهَا عَلَى الْمَهْزُورَةِ فَيَكُونُ جَمِيعًا مِنْ آتَى يَأْتِي فَيَصِيرَانِ جَمِيعًا مِنْ لَفْتَةٍ وَاحِدَةٍ . وَفِيهِ لَتَانِ أَخْرَاجُ الْعَرَبُ تَقُولُ ^٣ أَلَمْ يَنْلُكَ لَكَ أَنْ تَنْصَلَ ذَلِكَ وَأَلَمْ يَنْلُكَ أَنْ تَقْعَلَ . قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عُمَيْدٍ وَتَقُولُ الْعَرَبُ كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَانٍ حَاجِبِكَ وَفِي آوَانَةٍ حَاجِبِكَ وَمَعْنَى آوَانَةٍ أَحْيَانًا . وَيُقَالُ إِنَّ يَوْوُنًا أَوَانًا بِمَعْنَى رَفِيقٍ يُقَالُ أَنْ عَلَى كَيْفِكَ أَيِ ارْتَفَقَ بِهَا . أَحْمَدُ . وَقَوْلُهُ أَهْلًا بِذَلِكَ مِنْ سَارٍ كَأَنَّهُ دُعَاءٌ لَهُ وَتَجَلَّبُ مِنْهُ الْعَرَبُ تَقُولُ ١٠ فَلَانِ أَهْلٌ لِلْخَيْرِ وَقَدْ أَهَلَهُ اللَّهُ لَهُ وَمَكَانٌ مَأْهُولٌ هُوَ الْكَلَامُ وَقَدْ أَهَلَ هَذَا الْمَكَانُ . وَسَيُفْتُ يُقَالُ مَكَانٌ أَهَلٌ أَيِ ذُو أَهْلٍ . قَالَ ذُو الرُّمَّةِ * كَأَنَّ لَمْ يَسِرِّي أَهْلِي مِنَ الْوَحْشِ قَوْلُهُ * . وَبَنُو عَامِرٍ يَقُولُونَ أَهَلْتُ بِهِ فَإِنِ أَهَلْتُ بِهِ أَهْلًا أَيِ أَنْسْتُ بِهِ . وَجَمْعُهُ مُخْتَبِئًا أَيِ حَبَلٍ فِي طَلَبِنَا وَلَمْ يَتَلَبَّثْ . وَقَوْلُهُ * كَيْفِي فِدَاؤُكَ مِنْ سَارٍ عَلَى سَاقٍ * وَالْحَيَالُ لَا يَمِيشِي عَلَى سَاقِهِ وَلَكِنَّهُ أَلَا قَالَ يَسْرِي وَقَالَ عَنِّيَا فَوْصَفَةٌ بِمَا يُوصَفُ بِهِ ذُو السَّاقِ قَالِ * كَيْفِي فِدَاؤُكَ مِنْ سَارٍ عَلَى سَاقٍ * فَجَعَلَهُ يَمِينُ لَهُ سَاقٌ وَكَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا أَبَتِ ١٠ إِي رَبِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ : وَإِنَّمَا كُنْزُ هَذِهِ النَّوْنِ وَالْيَاءِ فِي جَمْعِ ذِكْرَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَمَا أَشْبَهُهُمُ يُقَالُ الْإِنْسُ وَالْإِنْسُ وَالْمَلَائِكَةُ سَاجِدُونَ فَإِذَا ٩ عَدَوْتَ هَذَا صَارَ الْكَوْكَبُ وَالْمَذَكْرُ إِلَى التَّائِيَةِ يُقَالُ الْقَمُّ وَالْبَعْرُ مَذْبَعَةٌ وَمَذْبَعَاتٌ وَقَدْ ذُيَّبَتْ وَلَا يَجُوزُ مَذْبَعُونَ . قَالَ الْقَرَّاءُ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّهَا وَصِفَتْ بِأَقَاعِيلِ الْأَدَمِيِّينَ وَقَالَ الْأَثَرِيُّ أَنَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ الْآدَمِيِّينَ فَأَخْرَجَتْ عَلَى أَفْعَالِ الْآدَمِيِّينَ لِمَا وَصِفَتْ بِصِفَتِهِمْ . وَمِثْلُهُ * وَقَالُوا لِيَلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ طِينًا : وَكَأَنَّهُمْ خَاطَبُوا رِجَالًا إِذْ ٢٠ كَلَّمْتَهُمْ وَكَلَّمْتُمْهَا . وَمِثْلُهُ * يَا أَيُّهَا النَّسْلُ ادْفُلُوا مَسَاكِيكُمْ : وَكُلُّ مَا وَدَّ عَلَيْكَ مُوَافِقًا لِقَوْلِ الْآدَمِيِّينَ وَلَيْسَ مِنَ الْآدَمِيِّينَ فَأَجْرُهُ عَلَى هَذَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ الْحَيَالِ ذَا سَاقٍ يَذْهَبُ إِلَى مَعْنَاهُ يَرِيدُ صَاحِبَ الْحَيَالِ . أَحْمَدُ . وَيُقَالُ سَرَى وَأَسْرَى لَتَانِ قَدْ جَاءَ بِهِمَا الْقُرْآنُ يُقَالُ سَرَتْ الدَّابَّةُ أَمِيدُهَا سَيْدًا وَمَسِيدًا وَسَرَتْ بِالْقَوْمِ فَإِنَّا أَسِيرُهُمْ وَسَرَيْتُ بِالْقَوْمِ فَإِنَّا أَسْرِي بِهِمْ سُرَى وَسَرُوا هُمْ يَسْرُونَ بِسُرَايَ وَأَسْرَيْتُ بِهِمْ لِإِسْرَائِهِمْ وَالسَّرَى مِنْ أَوْسَطِ اللَّيْلِ وَأَوَّلِهِ وَآخِرِهِ وَأَمَّا السَّرُّ فَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ٤

١ Qur. 57, 15.

٢ LA 14, 308, 13.

٣ Qur. 12, 4.

٤ Qur. 27, 18.

٥ LA 16, 183, 22 (K has قِيَابِي)

٦ First hemistich فَأَضَعَتْ مَبَادِيهَا قَفَارًا بِأَدَمًا (I. Off. Ms. p. 201).

٧ K 1 and 2 عدت

٨ Qur. 41, 20.

ثم توج علماء الحديث هذه المسيرة الرمزية، في تاريخ العلوم الإسلامية، فوضعوا في أوائل القرن الثالث مصطلحات مختصرة من ألفاظ أساليب التحديث والرواية والتلقي. وعندما شاع استعمالها في المصنفات، تولدت منها بُنيّات وحفيدات،^(١) حتى صار لها في القرون المتأخرة عشرات من الصور الصوتية، بين كثير من علوم الإسلام والفنون الأدبية، ولكل منها دلالة اصطلاحية معقدة، يتداولها العلماء في مصنفاتهم بخبرة واقتدار. وهذا الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢) تجده كثيراً ما يختصر أسماء العلماء، فيما ينقل من النصوص عنهم، برمز حرفية مقتطعة من أسمائهم. ومن ذلك: ن: ثعلب، ح: الحوفي، ع: المعري، ق: الرقي، رز: الرزاز. ثم تراه يجمع بين هذه الرموز عندما يكون الكلام لأكثر من عالم نحو: زح، زع، ضق، قس، قك، ذعح، زعح، ح رزح.^(٢) وقد تكاثرت هذه الرموز الفنية بين أيدي العلماء والنسّاخ، بحيث يتعذر إيرادها كلها. وحسبنا أن نذكر هنا بعض ما جاء في النصوص التراثية من ذلك، مع ما يقابله من المقصود. نحو:^(٣)

(١) علوم الحديث ص ١٨٠ - ١٨٢ والكفاية في علم الرواية ص ٣٧٤ - ٣٨٤ وإرشاد طلاب الحقائق ص ١٥٠ - ١٥١ والجامع الصغير: ١ وصحيح الجامع وزياداته ص ٢١ - ٢٥ وكشف الظنون ص ٥٦٠ - ٥٦١ و ٥٩٧ ومنتخب كنز العمال ١: ٧ - ٩ وغاية النهاية في طبقات القراء ١: ٣ وتقريب التهذيب ١: ١٦ والقاموس المحيط ص ٢٣ و ٣٥ ومنهج التبريزي ص ٢٢١ - ٢٢٢ وتهذيب إصلاح المنطق ص ٧٨٠ والرموز عند المؤلفين العرب لحسين علي محفوظ.

(٢) منهج التبريزي ص ١٣ و ٢٢١ - ٢٢٢ والإيضاح في شرح سقط الزند ص ٤١ - ٤٢.

(٣) يضاف إلى هذا بعض الرموز المستحدثة، وأكثرها تقم وتقطع: ق. م: قبل الميلاد، م: الميلادي، هـ: الهجري، ص: صفحة، س: سطر، جـ: جزء، ت: تاريخ أو تاريخ الوفاة، تر: ترجمة، د: دكتور، د. ت: بدون تاريخ، ط: طبعة، عم: عمود، مط: مطبعة، ن: ناشر. هذا مع العلم أنه لا يستخدم الميم والهاء إلا إذا كان في الكتاب ما له تاريخ هجري، وآخر ميلادي. فإن خلا من ذلك وجب عدم الرمز بهما أصلاً.

ثنا: حدثنا

ثني: حدثني

أنا: أنبأنا

أرنا: أخبرنا

المص: المصنّف

ص: المصنّف

الش: الشارح

أيض: أيضاً

م: معتمد أو معروف

إلخ: إلى آخره

رضي: رضي الله عنه

ج: جمع

جج: جمع الجمع

خ: حيثئذ

مح: محال

تع: تعالى

ع م: عليه السلام

يخ: يخلو

نم: نسلم

مع: معلول

س: سيبويه

ق: قال

اهـ: انتهى.^(١)

وعندما التقى ابن مالك صاحب الألفية (ت ٦٧٢) وشرف الدين علي ابن محمد اليُونيني (ت ٧٠٩) في المؤتمر المشهور بجامع دمشق، لمقابلة نص «صحيح البخاري» وتحقيقه على أصول مصححة مضبوطة، كان معهما حُفَاط بلاد الشام، ولدى كل منهم نسخته المعتمدة المسندة إلى المؤلف نفسه.

وقد استغرق هذا المؤتمر أكثر من سبعين مجلساً، واليُونيني يقرأ من نسخته المعتمدة، والعلماء الحضور يتابعون ذلك ناظرين في نسخهم ومراجعين في محفوظاتهم أيضاً، وابن مالك يراعي القراءة ويلاحظ النطق، ثم يختار ما أجمعت عليه مجمل الروايات وأصحها في الضبط والإعراب، فيرجحه ويأمر بإثباته أصلاً، وما خالف ذلك يُحفظ جانباً ويُجعل في الحاشية.^(٢)

ومن ثمَّ فإن ما كان من موافقة نسخة اليُونيني لبعض تلك الأسانيد من الصحيح أو مخالفتها رُمز إليه بما يميّزه عن غيره،^(٣) فكان مثلاً الحرف «ه» لأبي ذر الهروي، و«ص» للأصيلي، و«ش» للدمشقي ابن عساكر،

(١) هذا ما نعبر عنه اليوم بأقواس الاقتباس، وهو يعني أن النص المقتبس قد انتهى. وكثيراً ما يرد بدلاً منه عبارات، نحو: انتهى، آخر قول فلان، إلى هنا قوله، هذا آخر كلامه، هذه ألفاظه، هذا قوله، قلت... انظر المساعد على بحث التخرج ص ٨١ وشرح قواعد الإعراب ص ١٨.

(٢) انظر إرشاد الساري ١: ٦٨ - ٦٩ والجامع الصحيح مطبوعة دار طوق النجاة ١: ٥-٦ وشواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ص ٢١٩ - ٢٢١ ونظرة في تحقيق الكتب ص ١٢.

(٣) انظر النموذجين التاليين.

(٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الجزء الأول)

من صحيح أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة
أبي بردية البجلي رضي الله تعالى
عنه ونفعنا منه

قد وجدنا في نسخ نسخة المعتمدة التي صحنا عليها لهذا المطبوع رموزا لاسماء
الرواة منها ه لابي خذ الهروي ومن للاصلي وس لابن عاكروط لابي الوقت
وه للكشمريني وه للعموي وه للمستلي وذا لكرعة وجه لاجتماع
الجموي والكشمريني وه للعموي والمستلي وتارة توجد تحت حـ وه
أوغرها اشارة الى روايته عنهما وتارة توجد قبل الرمن (لا) اشارة الى سقوط الكلمة
الموضوعة عليها (لا) عند أصحاب الرمن الذي بعده اذ يوجد في آخر تلك الجملة التي عليها
لا لفظ الى اشارة الى آخر الساقط عند صاحب الرمن ومن الرموز ع ولعلها لابن
السمعاني وج ولعلها الجرجاني وق ولعلها القاسبي وح وه ط وصح ولم يعلم
أصحابها ويرى ما وجد في رموز غير ذلك لم نعلم أيضا ويوجد على بعض الكلمات خ أو خ
أو خ وهي اشارة الى أنها نسخة أخرى وقد يوجد على الكلمة لفظ ه اشارة الى
صحة سماع هذه الكلمة عند الرواة أو عند لفظ اليوناني والله سبحانه اعلم

طبع

بالطبعة الكبرى الاميرية بولاق مصر المحمية
سنة ١٣١١ هجرية

(١٦٤) (المسنون ١٠٠ - ١٦٦ - الف - ١٢٢/٧ - ١٢٥) [كتاب

محمد بن عبد الله الزبيري قال حدثنا مسعر عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء قال كان
صبروا النبي صلى الله عليه وسلم وركوعه وقعوده بين الصلوات في بيته من السواك حدثنا سليمان بن
حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال قال لا ألوان أصلي بكم كرايت
النبي صلى الله عليه وسلم أصلي بنا قال ثابت كان أنس يصنع شيام أو كم تصعوه كان إذا رفع رأسه من
الركوع قام حتى يقول الفاعل قد نسي وبين الصلوات حتى يقول الفاعل قد نسي **باب**
لا يفتش ذراع في السجود وقال أبو جندب النبي صلى الله عليه وسلم ووضع يده في رقبته
ولا يفضهما حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن
أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعتدوا في السجود ولا يسط أحدكم ذراعه أبدا
الكتاب باب من استوى قاعدا في ورث من صلاته ثم نهض حدثنا محمد بن الصباح قال
أخبرنا هشيم قال أخبرنا هاشم بن عمار قال أخبرنا مالك بن الحويرث الذي أراه رأي النبي
صلى الله عليه وسلم يعني فإذا كان في ورث من صلاته لم ينهض حتى يستوي قاعدا **باب** كيف
يعتمد على الأرض إذا قام من الركعة حدثنا علي بن أسد قال حدثنا وهيب عن أبي بصير عن أبي قلابة
قال جاءني مالك بن الحويرث فغصلي بنا في مسجدها فقل لي يا أمي بكم وما أريد الصلاة ولما كنت
أريد أن أركبكم كيف رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يعني قال أبو بصير لا يخلو ولا يخلو وكيف كنت
صلاة قال مثل صلاة نبيهم من ركعتين قال أبو بصير لا يخلو ولا يخلو وكيف كنت
رفع رأسه عن السجدة الثانية يسطر واعتمد على الأرض ثم قام **باب** يكبر وهو نهض
من الصلوات وكان ابن الزبير يكبر في نهضه حدثنا يحيى بن صالح قال حدثنا القاسم بن سليمان عن
سعيد بن الحرث قال علي لنا أبو سعيد بهر بالكبير حين رفع رأسه من السجود وحين سجد وحين
رفع وحين قام من الركعتين وقال هكذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا سليمان بن حرب قال

٨٢١ (٢) ٢٩٨
٨٢٢ (٢) ٢٢٧
٨٢٣ (٢) ١٨٢
٨٢٤ (٢) ١٨٥
٨٢٥ (٢) ٢٢٧/٧
٨٢٦ (٢) ١٤٨

ابن مالك ٢
أخبرنا
ولا يسط ولا يسط
أخبرنا
أخبرنا
قال ١٠
رسول الله ١٢
أخبرنا
أخبرنا

٨٢١ - طره: ٨٠٠
٨٢٢ - طره: ٢٤١
٨٢٤ - طره: ٢٧٧
٨٢٦ - طره: ٧٨٤

و«ظ» لأبي الوقت، و«ح» للحموي^(١)، و«س» للمستملي، و«هـ» للكشيمهني. وإذا اتفقت بعض الأسانيد في لفظ ذكرت رموزها معاً. أثبت ذلك كله الإمام اليونيني في فرخة،^(٢) ألحقها بنسخته المحققة.

وآخر ما وصل إلينا عن هذا الكتاب الكريم، في خدمته للرمزية، هو ما تحصل عام ١٣١١. وذلك أن السلطان عبد الحميد - رحمه الله - أمر بطبعه حينذاك في المطبعة الأميرية ببولاق، فاعتمد المصححون له على النسخة اليونينية المحفوظة في الخزانة الملوكية بالآستانة، وعارضوها بنسخ أخرى شهيرة الصحة والضبط.

ثم أصدر السلطان أمره إلى مشيخة الأزهر، بتحقيق جماعي آخر، لما صار عليه هذا الكتاب، فقام بذلك ستة عشر من أكابر محدثي الأزهر الأعلام وعلماء العربية، اعتماداً على الأصل اليونيني أيضاً، ومعارضةً بفروعه الخطية الموثقة، أسوة بما كان من مجالس اليونيني وابن مالك مع محدثي الشام، قبل ذلك بسبعة قرون. وبهذا صار النص الأصلي في المتن، مع علامات ورموز بموافقات الفروع وخلافاتها، وفي الحاشية ما كان من نحوه أيضاً.

(١) يجوز فيه فتح الميم مع التشديد أيضاً. وقيل: بتسكين الواو بعدها ياء مكسورة فياء النسبة. انظر الأنساب ٢: ٢٦٨ و ٣٠١.

(٢) الفرخة: قطعة من الورق، يسجل فيها من الملاحظات والتعليقات على النص ما لا يمكن إلحاقه بالحواشي لطوله، ثم توضع في مكان مناسب من الكتاب للرجوع إليها عند الحاجة.

الفصل الثاني الترقيم التعبيري في اللغة العربية

الحق أن كل متكلم واع من جميع الأمم يستخدم في عباراته اللفظية ما يمارس الإيقاع التعبيري ، بشكل تلقائي ملحوظ ودقيق مفهوم،^(١) من التباطؤ والتوقف والتلبث والمد والتفخيم والنبر والتنغيم، للإشعار بما يريد من قطع واستئناف وتفصيل واعتراض وخبر وإنشاء...

فهو يصل ما يجب وصله، ويتلبث قليلاً في موضع الفصل، ويقف أكثر بعدما يتم لديه معنى في فكرة ما، ثم يستأنف الكلام مشعراً بابتداء فكرة جديدة لها صلة بما مضى. وإذا أقحَم ما يعترض بين عباراته تلبّث برهة في أوله، وثانية في آخره، وقد يعبر عن ذلك باللفظ قائلاً: «بين قوسين». وفي خلال ذلك كله يلون تعبيره بالمقاصد الخيرية والإنشائية، هادئاً مسترسلاً فيما هو تقرير ووصف وتحليل، ومنغمماً العبارات بما يناسبها من توترات النداء والإنكار والزجر والتوبيخ والتهكم والاستبعاد والنهي والأمر والتعجب والاستفهام...

وقد رأيتَ أنت جهود القدماء والمتأخرين، من أجدادنا العرب والمسلمين، في هذا الحقل العملي، وما وضعوه من رموز ومفاهيم اصطلاحية لضبط أقصى ما يمكن من ثغرات التسجيل الكتابي للنصوص.

(١) انظر مشكلة العامل النحوي ص ١٨٠ - ١٨٦.

حتى لقد صار لما يسجل في التراث الخطي نهج مفصل من العلامات، يمكنك أن تلاحظ فيه تعبيراً رمزياً يمازج الكلام المكتوب، ويشكل معه وحدة لغوية متكاملة. ورأيت أيضاً تنكر الاستشراق وأنصاره لذلك، والرّدّة إلى عهود الوثنية الإفرنجية والعولمة الاستعمارية، لزعم التأصيل والبيان والتوليد.

البحث والتصنيف:

وفي عصرنا الحاضر شرع بعض الناشرين يوظف قليلاً من علامات التنغيم التعبيري هذه، على غير نظام، ثم كثر الخلاف والاضطراب في ذلك بينهم، فلمس الكتاب حاجة إلى بحث هذه الظاهرة الحيوية، وتقديم نهج مرسوم يحتذيه الناسخ والمؤلف والكاتب.

إذ ذاك قام حسن حسني باشا الطويراني، صاحب جريدة النيل ومجلات الشمس والزراعة والمعارف، بتصنيف رسالة تحت عنوان «كتاب خط الإشارات»،^(١) جعل فيه تلك العلامات نُقْطاً وألفاتٍ وما يشبهها، ونشره سنة ١٣١٠ في القاهرة، فلم يكن له أثر بين الناس، لما فيه من رموز متداخلة ومتشابهة، تعرقل التعبير وتفسد الكلام.

ومن ثمّ كان أن أمر أحمد حشمت باشا، ناظر المعارف المصرية، الأستاذ أحمد زكي باشا (ت ١٣٥٣) بإحياء أساليب الترقيم العربية عند علماء القراءات،^(٢) فشرع هذا في استنباط طريقة لوضع علامات تناسب العصر في رسمها الحالي، توافق الرموز المستخدمة حيثئذ في بعض المخطوطات المصرية ومطبوعات الخلافة العثمانية، استنبطها من كتب

(١) معجم المطبوعات العربية ص ١٢٥٣ والترقيم وعلاماته ص ٤.

(٢) الترقيم وعلاماته ص ٦-١٢ و ٤٧.

السلف الصالح في الوقف والابتداء، من مثل: القول المفيد في علم التجويد، ومنار الهدى في الوقف والابتداء، وكتاب الوقف والابتداء، وشروح المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه، والإتقان في علوم القرآن، والبحث المعروف في معرفة الوقوف، وكتاب الوقوف، وغيرها من الأمهات الموضوعة في هذا الباب.

صنف ذلك في كتيب، فسّر فيه مواقع توضّع تلك الوسائل الرمزية في الكتابة، وأورد نصوصاً تمثل ذلك عملياً، مع كثير من الاضطراب والتخليط، وتأثر بعض مذاهب المستشرقين:

كوضع الفاصلة بين المبتدأ وخبره أو بين الشرط وجوابه، وجعل علامة الاستفهام معكوسة، وإقحام علامة التعجب بعد النداء والقسم، وإضافة نجم بين شطري البيت الشعري، ونقطة أو فاصلة في آخره، واستخدام الفاصلة المنقوطة عشوائياً دون تعيين لموقعها، واقتراح الفاصلة فوق نقطتين لتحديد السجع، والقوسين الكبيرتين لحصر عبارات الاعتراض أو الدعاء أو التفسير أو اللفت للنظر، ولبعض أشباه الجمل، وختم النص المقتبس بعلامة الترقيم قبل علامة التنصيص في آخره...

ولكي يطمئن إلى صحة ما وضع، عرض مشروعه المذكور على ناظر المعارف، الذي كلفه من قبل بذلك، فهدب هذا منه بعض المواضع، وأرشده إلى تكميل ما عنده من نقص، وطلب منه الاستئناس برأي أهل الفضل والأدب. ولذلك ترى صاحب الكتيب قد استشار فيما صنف جمهور المتفانين في خدمة اللغة ورفع منارها، من الشعراء والأدباء والقضاة ومتفشي العربية ورؤساء تحرير الدوريات وعلماء الأزهر ومطارنة الطائفة المارونية، فكان لهم أيضاً تزويد ببعض المعلومات النافعة والإرشادات المسددة.

ثم تابع خطواته بعض المتأخرين، لضبط الكتابة والقراءة والفهم، وكان لهم مصنفات^(١) ومقالات ومحاضرات ومحاورات، تعدل جوانب من مذهبه وتوجيهاته، فتحصل أن وُضعت لتلك المقولات النظرية والعملية رموز تختصر الدلالة، وتعبّر عن المفهوم الاصطلاحي.

ونحن ملزمون باستخدام مثل هذا الترقيم التعبيري في التأليف والنسخ والتحقيق، لتيسير الاستفادة من النص على كل قاصد أو قارئ. فهو يوضح معالم العبارات وارتباط بعضها ببعض، ويبيّن توزيع المعلومات الرئيسية والفرعية، والتراكيب المتواصلة والتمايزة، ودلالات أساليب الخطاب، وما هو من المؤلف أو منقول عن الغير،^(٢) وما سقط أو أقحم في التعبير... ولكنك إذا تتبعته ما نشر من الكتب والرسائل والمقالات، لترصد أنماط التوظيف لهذا الترقيم، أخذك العجب والدهشة والدوار، لما يصدرك من تخبط واعتباطية واضطراب. ذلك لأنك لن ترى صفحتين من كتاب واحد لمؤلف، تتفقان في توزع العلامات المعتمدة. بله أن تتصفح كتابين لهذا المؤلف الكريم. فما قولك في النصوص، يكتبها المتطفلون على البحث والتراث والعلم والأدب في الشرق والغرب؟

لقد فُجع القراء لهذا الزاد الضخم المختلف المضامين، في آمالهم ومقاصدهم، لكثرة ما اصطدموا به، من الفوضى والعشوائية والتناقص في توضع العلامات هذه. حتى إنهم ضاعت بين أعينهم وخبرتهم ومفاهيمهم، بما لقوا من الاضطراب، دلالات تلك الرموز، وأصبحوا يتجاهلون وجودها بين التراكيب والمفردات، يقرؤون النص باجتهاد وتكهّنات على أنه مجرد

(١) مثل كتاب: حروف التاج وعلامات الترقيم ومواضع استعمالها، مطبوعة ١٩٣١.

(٢) لا مانع من دخول «أل» على «غير» خلافاً لمن زعم المنع. انظر تهذيب الأسماء واللغات

منها، ولا علاقة له بها. بل إن المشرفين على الأبحاث العربية والإسلامية، في الشرق والغرب، ليطلبون من الباحثين والمحققين عدم الاهتمام بذلك، لأنه عندهم غير لازم ولا مفيد.

هذا وذاك هو ما اعترف لي به بعض أصدقائي الكرام، وهو أمر أعجب من العجب، أن تفقد علامات الترقيم وظيفتها، وتصبح غير لازمة ولا مفيدة، ضرباً من الزخرفة الاعباطية، والزينة الشخصية، يقحمها الكاتب والناشر وراصف الأحرف. ومن ثمّ يعود القارئ المفجوع إلى التكهّن والظن في فهم النصوص، وهي كالأغفال من كل معلمة أو منارة.

علامات الترقيم العربية:

ونحن هنا نتلّث قليلاً، بالدراسة والتفصيل، لعلنا نفجر جدولاً سائغاً، يغمر تلك البحيرة المتخبطة المعكرة، يغمرها بموجات راتقة عذبة، تزيل ما كان من الاضطراب والتسيب والعشوائية. وبذلك يتسنى لنا أن نعيد إلى الأذهان مفاهيم العلامات الدقيقة عند أجدادنا العرب والمسلمين، ونقدم إليهم أشهر هذه الرموز التعبيرية في كتابة العرب. فلنبداً بالتعرف لما يحمله الاصطلاح من المفهوم الدلالي.

إن الترقيم في الأصل مصدر للفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف: رَقَّمَ، مبالغة في الرَّقْم، أي: الكتابة للكلام مع نقط الحروف وتبيينها. ثم انتقل بالدلالة المجازية إلى التعبير عن وسم الشيء بعلامة تميزه وتدل على ثمنه أو صنفه، وتحسينه وتزيينه بالوشي والنقش والتخطيط.

وهو في الاصطلاح مستقى من الترقين، أي: ما يضعه أهل ديوان الخراج على الرقاع والتوقيعات والحسابات، من علامة سواد تُجعل قبالة بعض المواضع من تلك المسجّلات، تنيهاً عليها لئلاّ يُتَوَهَّم أنها بيّضت

فتهملاً في الحُسابات. يعني أن ما وضعتُ قربه يجب أن يراعى وقت الوصول إليه، لأنه واجب التنفيذ والأداء، ولما يؤخذ قبلُ في الحُسابان. (١)

وقد أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة استعمال الترقيم، على أنه علامات اصطلاحية، توضع في أثناء الكتابة أو آخرها، كالفاصلة والنقطة وعلامتي الاستفهام والتعجب، لتمييز بعض الكلام من بعض، أو لتنظيم الصوت عند القراءة. ثم خُصَّص لفظ «الترقيم» بإضافة كلمة «علامات» إليه، ليمتاز من المفهوم الاصطلاحي القديم، ويصير مفهوماً متميزاً، يحمل معنى التوكيد بهذا التضايف بين المترادفين.

ولكنك قد تراني أعبرُ أحياناً عن هذا المفهوم الكتابي بـ «الترقيم التعبيري»، (٢) للدلالة على ما فيه من قيم معبرة، تساعد النص المكتوب، في استرداد الكثير الكثير مما افتقده، حين انتقل بالأنامل والقلم من الذهن إلى الأسطر، بدلاً من اللسان والبيان. وسوف ترى المضامين المعنوية العجيبة التي تُشحن بها كل إشارة منه، إذا وقعت في موضعها من عبارات ما يسطره الإنسان. وها نحن أولاء نبسط بعض ذلك بالتفصيل:

١ - افتتاح كل فقرة بفراغ في مقدار كلمة صغيرة، حين الكتابة، إشعاراً ببدء الموضوع، أو الانتقال فيه من فكرة إلى أخرى جديدة أو فرعية، كالذي تراه في صفحات هذا الكتاب.

٢ - الفاصلة أو الفصلة أو الشُّولة (،) بين الجمل والتفريعات المتعاطفة، والتراكيب الطويلة في الجملة المديدة، وبين المنادى وجواب النداء، والقسم وجوابه، من الشعر والنثر. ولا يجوز أن تقع بين المتلازمين،

(١) الصحاح واللسان والتاج (رقن).

(٢) انظر علم التحقيق ص ٢٦٤ - ٢٧٤.

كالفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، والشرط وجوابه. اللهم إلا أنه إذا طال ما بين العنصرين من هذه المتلازمات في التعبير وجبت إذ ذاك فاصلتان تميزان ما هو مطوّل، ليعود اتصالها في التعبير والتفكير.

٣ - النقطة (.) في ختام الكلام الذي يتم به المعنى، وفي ختام الفقرة أو البحث، ولا تكون في الشعر أو في آخر البيت، إلا إذا كررت متوالية فيه، فتُسرَد ثلاثاً للتعبير عن سقط أو نقص منه، على غرار ما سيرد تحت الرقم ١٠. وحبذا لو جعلت النقطة ضخمة في آخر الفقرة، لتمييزها من النقاط التي بين الكلامين التامّين.

٤ - النقطتان (:) بعد قول أو ما يشبهه أو إجمال، يليه المقول والمحكي والتفصيل والتفسير والتمثيل، في الشعر والنثر.

٥ - الشرطتان أي: خطأ الاعتراض (-) يحصر بهما الجملة الاعتراضية فقط. ويحسن ألا يكونا في الشعر.

٦ - الاستفهام (?) يكون وجهه إلى اليمين، في الشعر والنثر، بعد تمام العبارة الاستفهامية فحسب، لتمييزها مما سواها، ولو كان جملة نداء.

٧ - التعجب (!) يقع في ختام العبارة التعجبية فقط، في الشعر والنثر أيضاً.^(١)

٨ - النجم (*) يكون إشارة إلى التهميش في بعض العناوين التراثية المحققة، ويقع بين اثنين منه الشطرُ المفرد في وسط السطر، وتكون ثلاثة منه فاصلاً بين الموضوعات المتباينة، تحت فصل واحد أو تحت عنوان متميز، ولا يجوز وضعه في وسط البيت الشعري.

(١) ما يزعمه البعض، من انفعال في هذا المقام يشمل غير التعجب، هو رجم بالغيب، وليس له مفهوم ولا علامة في الترقيم العربي.

٩ - القوسان المعقوفتان [] لما يزيده المحقق أو الباحث تكملة لعبارة الغير، أو نقلًا من النسخ المساعدة والردائف للتحقيق، في الشعر والنثر.

١٠ - النقاط الثلاث (. . .) للتعبير عن بياض أو خرم أو إغفال ما لا يلزم في النص الشعري أو النثري.

١١ - الخط المائل (/) لتحديد بدء كل ورقة من ورقات الأصل في نصوص التحقيق. ويقع هذا أيضًا بين الأرقام التاريخية: تاريخ اليوم والشهر والسنة.

١٢ - الهلالان المزهران ﴿ ﴾ غير المصلبين، ويقال لهما: الهلالان العزيزيان أو القوسان العزيزيتان، لحصر الآية الكريمة أو بعضها.

١٣ - الهلالان المزدوجان، أي: الأهلة أو القوسات « ». وهي علامات الاقتباس والتنصيص، للمحكي من العبارات وللكلام المنقول نثرًا فقط، كالحديث الشريف وأقوال العلماء والأدباء ما عدا الأشعار، والأمثال والعبارات المأثورة والحكم، ولبعض أسماء الكتب المسرودة في المتن إذا لم تكثر في مكان واحد.

١٤ - الهلالان، أي: القوسان الكبيرتان ()، ويحصر بهما ما هو محكي من المفردات والتركيب، إذا وقع في نص ضمن الهلالين المزدوجين، وتحصر بهما أيضًا المواد المعجمية التي يحال عليها في المتن أو الهامش.

١٥ - الشَّرْطَة، أي: الخط الأفقي الصغير (-) يقع بعد الأرقام التي يكون فيها تعداد لعناصر فكرة واحدة، وهو يفصل بين الرقم والكلام، كما ترى هنا.

١٦- الخطان الأفقيان الصغيران (=) يقعان مرتين متواليتين: في آخر هامش الصفحة إذا لم يستوعب التعليقة الأخيرة، ثم في أول هامش الصفحة التالية، للدلالة على اتصال التعليقة في الصفحتين، ولا علاقة لهما بالموازاة. ثم للتعليقات الهامشية، في البحث أو التحقيق، مثل هذه العلامات التعبيرية، مع فارق يسير يناسب أسلوب التحشية عند علماء العروبة والإسلام. وسوف ترى في النماذج المصورة أخيراً أمثلة توضح لك ذلك.^(١)

ولو تبصرت في مقاصد هذه الإشارات اللطيفة لأخذتك الدهشة، وتحقق لديك أنها فعلاً «ترقيم تعبيري»، كسائر المفردات والجمل والتراكيب. فالنقطة مثلاً تعني عدة جُمَل، هي: قف قليلاً، وانتهت العبارة، وسترد عبارة مستأنفة. أو قف طويلاً، انتهت الفكرة والفقرة، وسيأتي ما بعدهما، أو لن يأتي شيء بعدُ لانهاء الباب أو الفصل أو الكتاب.

والعجيب حقاً أن النقطة هذه تستطيع أداء تلك المقاصد الدلالية المختلفة، وهي صورة وهمية، لأنها في الحقيقة مكان التقاء خطين متقاطعين، وليس لها طول ولا عرض ولا مساحة إلا في الذهن والخيال. ولهذا كان أجدادنا العرب والمسلمون في القديم يعبرون عن النقطة بدائرة صغيرة، يريدون بها «الصُّفْر» المستخدم في العدد، أي: الفراغ والتوقف والانقطاع، لأن الكلام قد تَمَّ، ولا بدُّ من التوقف في اللفظ والفهم والكتابة، قبل البدء بما سيكون بعد.

وأعجب منها في الدلالة هذا الفراغ الذي خلفناه الآن هنا في أول السطر، ويكون في كل فقرة. إنه صورة سلبية صماء عجماء، تقدم للقارئ بصمت وخواء معلومة واضحة دقيقة. وهي أن الفكرة التالية متميزة، واردة

(١) انظر علم التحقيق ص ٣٦٢ - ٤١٦.

في أول البحث أو الباب أو الفصل. وقد يكون قبلها تمام فكرة أيضاً، أو اتصال جانبي بها.

لقد استطاعت هذه الصورة الرمزية الخفية أن تزود القارئ بمعان، كما رأيت، تحتاج للتعبير عنها إلى كلام حقيقي يستغرق سطراً أو أكثر. ومع هذا كله فقد أصبح بعض المستغربين، أي: المقلدين لرجالات الغرب، يتجاهلون تفرغ ما هو أول الفقرة، ليخلطوا الحابل بالنابل، ويفسدوا على الناس التفكير الواعي المنتظم. فليس لك بعد هذا أن تستخف الأمر، وتتخذ علامات الترقيم زخرفاً اعتبارياً، لا ضابط له ولا مرام.

ولا تنس أن الإكثار من توزيع علامات الترقيم يسبب عرقلة التفكير والفهم، ويشوه النصوص بزخرفات عشوائية، وأن توظيف هذه الرموز يتوقف عليه الاستيعاب الدقيق، لما في النص من معلومات ومفاهيم وأحكام واحتجاج واستدلال ونتائج علمية أو فنية، توحد بين ما يستفيده القراء الذين هم متساوون في الثقافة والمعرفة والخبرة والذكاء.

الترقيم وإشارات المرور:

لقد بدا لي أن الترقيم التعبيري يُشبه، في كثير من دلالته،^(١) إشارات

(١) انظر مشكلة العامل النحوي ص ١٨٧ - ١٨٩. ويستحسن عدم وقوع: الأقواس والأهلة في أول الفقرة، أو الفاصلة والنقطة والنقطتين وعلامتي الاستفهام والتعجب في أول السطر، أو نقاط الحذف في آخر ما بين قوسين. ويجب إغفال الفاصلة المنقوطة بوحدة أو اثنتين، والخط الصغير مع نقطتين عموديتين، وكثرة النجوم في المتن، وخط الاعتراض بين ركني الجملة وفي أوائل الفقرات، والبدء بفقرة جديدة بعد الشعر فيما ليس بانقطاع، والأشكال الهندسية من مثلث ومربع وأسهم وخطوط مائلة وحلزونية وشاقولية وأفقية وزوايا وبقاع سود ونجوم رباعية على شكل مُعَيَّن قائم في =

المرور وما يرافقها، في الإنشاء الهندسي للمدن والشوارع والأرصفة وتوزيع مرافق الحياة. فاستخدامه بنجاح كفيل بالعطاء الجزيل، والخدمة الوافية لمقاصد المؤلفين والعلماء والأدباء. وإذا قارنت النص المرقم في كتاب بما ذكرتُ تبدى لك ما يلي:

فمتن الشارع المعبد للسيارات والعجلات والدراجات والحمير يمثل متن الصفحة. وعلى جانبيه مرتفعان مرصوفان للمشاة يناظران الحاشيتين المفرغتين لتسجيل ما يعن من تعليقات جانبية. والأبنية في صدر الشارع تقابل التعليقات الهامشية المتممة للبحث أو لتحقيق النص. والرصيف أمام الأبنية

= النص، والتفني في توزيع العلامات على غير هدى ولا سيما علامة التعجب والفاصلة، لكثرة الخلاف في ذلك بين التنظير والتطبيق. وكذلك ما يقترحه بعض الزملاء من أنواع الأقواس للأرقام وأسماء المصادر والمؤلفين، والرموز الكثيرة المعقدة المبعثرة التي تزيغ الأبصار والبصائر. وإذا اجتمع علامة ورقم إحالة بين قوسين قدمت العلامة عليه. إلا أنه إذا كانت العلامة نقطتين قبل قوسي التنصيص قدم رقم الإحالة.

أما بعض المستشرقين فيرون أن استخدام هذه الرموز غير مناسب في الكتب العربية، ويرون أنها غير معروفة الدلالة، ثم يقترحون أقواساً مزوّاة لحصر الزيادات ورسوماً حلزونية ويقاعاً لبدء الفقرة، وترقيمات وتقطيعات متعددة أو قطع للكلمة الواحدة بين سطرين أيضاً، على غرار ما في لغاتهم العجماء. ومنهم من نشر كتاباً كاملاً في ٢٠٠ صفحة، من دون فقر أو علامات عدا الفاصلة والنجم والفراغ، كما ترى في مطبوعة «المفصل». وكذلك الحال في كتاب «المقتضب» لابن جنبي، نشره مستشرق مأفون لدرجة الدكتوراه تحت عنوان «المقتضب»، وجعل نسق صفحاته من اليسار إلى اليمين، على غرار لغته العجماء.

انظر النماذج المصورة قبل، وقواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها ص ٥٠ - ٥٤ وقواعد نقد النصوص ص ١٠٤ - ١٠٥ وقواعد تحقيق المخطوطات ص ٢٣ والترقيم وعلاماته في اللغة العربية مطبوعة ١٩١٢ وحروف التاج وعلامات الترقيم ومواضع استعمالها مطبوعة ١٩٣١ ومناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ص ١٩٧ - ٢١١ والمساعد على بحث التخرج ص ٨٣ - ٩٠ وكيف تكتب بحثاً ص ١٦١ - ١٦٦، والمفصل للزمخشري والمقتضب لابن جنبي في المطبوعتين الاستشراقيتين.

هو الخط الفاصل بين المتن والهامش. والخطوط المتوازية في الشارع بين الرصيفين لعبور أولئك المشاة كالصلة بين النص والتعليقات لبيان حركة التفكير والتعبير. ومنتصف الشارع كنهاية السطر في وسط الفقرة، وكالوقف القبيح عند القراء. فهو يعني وجوب متابعة الانطلاق، خشية الانقطاع وفقد المصير.

ثم تجد إشارات المرور: الضوء الأحمر للوقوف المتلبث يناظر النقطة، والأصفر بعده للتنبيه على استئناف الانطلاق بهدوء هو كالفراغ الدقيق بعد النقطة، مهيناً لمباشرة النطق بعد الانقطاع. وكذلك يكون الأصفر قبل الأحمر استعداداً للوقف بلا مفاجأة ولا عنف مثل الفراغ قبل النقطة، والأخضر للاستئناف بعد ذلك التوقف إزاء النقطة. وفقد الإشارات، أو دوام ذبذبة الأحمر وحده، لمتابعة السير جوازاً هو كالوصل الاضطراري في الجواز. وعوامل الحفر والهدم للإصلاح والبناء، أو إشارة شرطي السير المفاجئة، تناظر الوقف الاضطراري في القراءة.

وللخروج من شارع فرعي إلى رئيسي إشارة كخط الاعتراض، تعني التوقف اليسير، لما سيعرض من مرور الغير، منتهياً بالعودة إلى متابعة السير. وكذلك ما تصادفه من دائرة في وسط الساحة أو الشارع أو المنعطف، فهو نظير خطي الاعتراض. والخط المديد في وسط شارع ذي اتجاهين شبيه بالفراغ الواصل بين الشطرين للبيت الشعري.

أما الرصيف المعترض في آخر الشارع المغلق فيفيد الوقف النهائي، كما يشار لآخر الفقرة أو الفصل أو الباب في البحث. وأما الخط المتعرج في شاخصة المرور فللدلالة على منعطفات وتعرجات متوالية، أي: احتجاجات جدلية تتطلب النظر للقبول أو الرد. وأما علامة التعجب في الشاخصة فتشير إلى اضطراب، فيما سيلي من الطريق، يثير استغراب الإنبتان وتنبه الزائد، كالذي يكون من عجائب تعجبية.

يضاف إلى هذا كله ما يرد، من لافتات كبيرة تحدد اسم المدينة أو القرية، وأخرَ صغيرةٍ للأحياء والشوارع المتطاولة، وثالثة أصغر لتوزع الحي أو الشارع في فروعه المتواصلة، شأن ما تجده من عناوين رئيسية أو جانبية أو فرعية في الموضوع الكتابي.

وقد تجد بعد هذا في بعض الشوارع إشارات لمواقف خاصة، بأناس أو مؤسسات أو دوائر. وهي تماثل ما يقابلك في الموضوع، من تلبث لبعض الملحوظات الذاتية المتميزة، لا يقرّها إلا القليل من ذوي الرأي.

مخاطر العشوائية:

أنت معي بلا شك، بعد هذا كله، في أن هذه الرموز المقررة للسير يجب التقيد بما تتضمنه من التوجيه، لدى جميع المواطنين والغريب الزائرين، حفاظاً على مصالح العباد والبلاد. فتصوّر أمة تجاهلت ذلك، أو اختلف أبناؤها وضيوفها في إدراك مقاصده، وفي الاستجابة لما يفهمون من التوجيهات: كم يكون لأموهم وشؤون حياتهم، من اضطراب وبلاء ودمار! ومن ثمّ تستطيع أن تتصور أيضاً ما نعانيه نحن وأبناؤنا المنكوبون، في التفكير والتعبير والتلقي، من اختلال وفساد وانهدام، لما بيننا من تناقض في مراعاة علامات الترقيم، واختلاف في فهم مقاصدها وتعابيرها، وشقاق في توظيفها، ثم ما ينتشر بيننا من تفهم فوضوي لما نكتب أو نقرأ أو نسمع، من المسطور في كتاب أو المتلو أو المنشد.

وحسبك أن تقارن بعض النصوص أو الصفحات من كتاب واحد، لترى بنفسك العشوائية في توزيع هذه العلامات إن وجدت، بحيث لا تقف على صفحة توافق أخرى، بل قد لا ترى التوافق في ذلك بين فقرتين

أو سطرين. فكيف بك، إذا تصفحتَ عدة كتب أو مقالات لهذا الكاتب التعيس، أو لمجموعة من التعساء؟

لحقُّ أنك تجد نفسك في متاهات متنافية متناقضة، تضعك في دوامة أو زوبعة، وتشعرك بما يعانيه القراء المساكين، المنكوبون بأرباع العلماء والأدباء والمحققين، وبما ابتلوا به من تشتيت وتضليل وتعميات.

ويمكنك أن تجرب ذلك بنفسك، تكلف مجموعة من الطُّلاب في أرفع مراتب الدراسة العليا، أو من المدرسين والمؤلفين، بل من أساتذة كلية جامعية أو قسم في كلية للعلوم أو الآداب أو الفنون، تكلفهم صفحة واحدة معينة غفلاً من الترقيم، لينسخها الجميع مرقّمة، ثم تفحص ما يتحصل بين يديك.

وذمّي مباح لك، إن وجدت نموذجين متوافقين في توظيف وسائل التعبير هذه، بين المفردات والجمل والعبارات والفقرات. إنك بكل تأكيد وجزم لترينَّ أعجب العجب. وما أمر القراءات للنثر والتلاوات للآيات الكريمة والإنشادات للشعر التعيس بأهون من ذلك العجب العُجاب.

فتصورْ معي مدينة يختلف استعمالُ علامات المرور فيها ومفهومُ كل منها بين الشوارع المتعددة، وطريقةُ متابعتها وتعاونها لتنظيم المرور، ويتناقض أبنائها وزوارها، في التعامل مع أنظمة الشوارع ولافتات التوجيه وشاخصات المرور وعلاماته، كيف تكون أحوالهم في يوم واحد؟ وما هي حصيلة الاختلاف والتناقض والاضطراب والتسيب والاعتباطية، من البلاء والفتك والدمار؟

لا جرم أنه سيَعجز رجالات الشرطة والطب والمستشفيات والصيدليات والقضاء المستورد ومكاتب دفن الموتى، عن العمل في ذلك التيه المتراكم، من الكوارث والقتل والانتحاز والدمار، لأنهم أنفسهم شريحة

من ذلك المجتمع التعيس المنكوب، يشاركونه ما هو فيه من الجهل والتنطع والاعتساف.

فلتتق الله في توظيف هذا الترقيم التعبيري، كما في الاستجابة لإشارات المرور. والتقوى تعني مراقبة النفس لطلب رضا الله بفعل الصواب، ولتجنب غضبه في الانسياق مع الانحراف. إذ ذاك نستطيع أن نكون، في السر والعلن والنية والتصرف، بانضباط وعمل إيجابي متقن، يحبه الرحمن، ويسر له سبيل العطاء والنماء والبركة.

والتقوى ههنا خير نفعاً وأثراً مما يوجه إلى الناس من الشعارات المسطحة الهفهافة نحو: الحضارة والتقدم والنظام والذوق والفن، لأن التقوى في مضمونها الإيماني واضحة المعالم مشيرة للطاعة بين أبنائنا، وشاملة لكل تلك الشعارات مع زيادات كثيرة جداً، لا تستوعبها الكلمات. بل إن الشعارات المطروحة لا مفهوم لها بين أفراد أمتنا العربية المسلمة.

وهذا يعني أن نعود إلى سبيل الصحة اللغوية في الكتابة، فنتقن وسائل الترقيم التعبيري، لنستطيع أن نعلمها أبناءنا في طفولتهم، ثم نأخذ أنفسنا وطلابنا بلزوم التوظيف الدقيق لها في كل عبارة يسطرون.

وبذلك يستقيم لهم ولنا السبيل، وتصبح كتاباتنا وجهاً عربياً مشرقاً، يؤدي كامل المرامي والمعاني والظلال، وينقل إلى الأجيال حقائق علمية وفنية وفلسفية وتجارب فنية ناصعة البيان، كفيلة بتكوين العقل السليم والتفكير السديد والانفعال الرفيع واللسان المبين والقلم الأمين. وبذلك أيضاً نُعدّهم لصنع حضارة عربية الوجه واليد واللسان، ترحم بمنكيها قمامات العولمة القديمة والتبويش المعاصر المأفون. ويمكنك أن تتلمس الصورة العملية لتوظيف العلامات في مواقعها، من صفحات هذا الكُتيب المتواضع.⁽¹⁾

(1) انظر النماذج المصورة في الصفحات التالية.

« وَأَسْأَلُ السَّرِقَةَ الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ ». قالوا : وكيف يسرق صلواته ؟ يا رسول الله . قال : « لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا » .^(١) وعلق الزرقاني على هذا بقوله : « أعاد (لا) دفعاً لتوهم الاكتفاء بالطمأنينة في أحدهما » .

وربما كان تكرار أكثر زيادة في التوكيد ، نحو قوله ﷺ عن سورة الفاتحة ، لأبي بن كعب : « إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، حَتَّى تَعْلَمَ سُورَةَ ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ ، مِثْلَهَا » .^(٢)

وجواب الشرط يحتاج أحياناً إلى توكيد ، فيرد معه حرف المعنى لهذه الوظيفة . ومنه قول الله تعالى : « حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ . . . واقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ، فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا » .^(٣) فالشرط بـ « إذا » هنا جاءت « إذا » الثانية رابطة لجوابه ، وأكد ذلك بالفاء توثيقاً وتحققاً . وقريب من هذا قول قُرَيْطِ بْنِ أَيْفٍ :^(٤)

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ بَنُو اللَّقِيطَةِ ، مِنْ ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ
إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي ، مَعَشَرَ خُشْنٍ عِنْدَ الْحَفِيطَةِ ، إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَنَا

حيث وردت « إذا » مؤكدة للجواب المبدل مما قبله .

وقد يحتاج الشرط نفسه إلى مؤيدات معنوية ، توثق العلاقة السببية بين صدره وعجزه . فقول المعري :

وَلَمَّا أَنْ تَجْهَمَنِي مُرَادِي جَرَيْتُ ، مَعَ الزَّمَانِ ، كَمَا أَرَادَا

ترى فيه زيادة « أن » بعد « لما » تؤكد ارتباط الجواب بالشرط ، وتحقق ترتبه

(١) الحديث ٤٠١ في الموطأ . وانظر شرح الزرقاني على الموطأ ١ : ٣٤١ .

(٢) الحديث ١٨٣ في الموطأ . وانظر فتح الباري ٨ : ٦ .

(٣) الآيتان ٩٦ و ٩٧ من سورة الأنبياء .

(٤) شرح الحماسة ص ٢٢ .

ولا شك أن النحاة امتدت خلافتهم إلى المحدثين ، وتناولوا أيضًا بعض رواة الحديث بالتخطئة والتعقب والرد ، فشعر الرواة أن هؤلاء تجاوزوا حدود مُهِمَّتِهِمْ في التقعيد والضبط ، وتسلطوا على أصحاب البيان والعلم الشريف . ولقد حفظ لنا التاريخ بعض النماذج الكافية الدلالة ، منها أن أبا عمرو بن العلاء ، لما سمع كلام الإمام أبي حنيفة يتكلم في الفقه ويلحن ، على ما قيل ، استحسّن كلامه واستقبح لحنه فقال : « إنه لحطّاب ، لو ساعده صواب » ، ثم قال لأبي حنيفة : إنك أحوج إلى إصلاح لسانك من جميع الناس .^(١)

وروي أنه كان أبو عمرو هذا مع بعض العلماء في مجلس الأعمش بالكوفة ، فحدثهم الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة ، مخافة السّامة علينا » . ثم فسر بقوله : أي : يتعاهدنا . فتعقبه أبو عمرو بأن هذا التفسير يقتضي أن الرواية : « يتخولنا » ، وأن معنى يتخولنا هو : يستصلحنا . قال الأعمش : وما يدريك ؟ فأجابه أبو عمرو ، كما زعموا : « إن شئت أن أعلمك أن الله - جل وعز - لم يُعلمك من العربية حرفًا واحدًا أعلمتك » . فصار الأعمش بعد ذلك يدينه ، ويسأله عن الشيء إذا أشكل عليه .^(٢)

وهذا إمام النحاة سيويه يقصد مجلس حماد بن سلمه ، الإمام في الحديث والنحو البصري والمشهور بالفصاحة ، مع قوم ليكتبوا عنه الحديث . فكان مما أملى عليهم : « صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّفَا » ،^(٣) فقال سيويه : « صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَاء » . قال سلمة : « يا فارسي ، لا تقل الصَّفَاء ، لأن الصَّفَا مقصور » . فلما فرغ سيويه من مجلسه كسر القلم

(١) مجالس العلماء ص ٢٣٧ .

(٢) المصدر المتقدم ص ١٧٧ و ٢٣٨ .

(٣) انظر الحديث ٤٦٨٧ في البخاري و ١ : ٢٨١ في المسند . وكان حماد قد خطأ سيويه في اللغة أيضًا . فتح المنيث شرح الفية الحديث ٢ : ٢٢٨ وتدريب الراوي ٢ : ١٠٦ . وكل ما ذكر في هذا الموضوع عن سيويه هو أخبار ليس لها سند علمي موثق . فليحرر . والله أعلم .

١١

باب

فَعَلٍ وَقَعَلٍ مِنَ الْمَعْتَلِ^(١)

٣

يقال: هو العَيْبُ والعَابُ.

وهو الذَّيْمُ والذَّامُ. قال [أبو يوسف]:^(٢) وسمعتُ أبا عمرو يقول: هو الذَّامُ والذَّابُّ، والذَّيْمُ والذَّيْنُ.^(٣) واحدةٌ بالنون والأخرى بالميم. قال:^(٤) وقال الأنصاري:^(٥)

رَدَدْنَا الْكَتِيْبَةَ، مَفْلُوْلَةٌ بِهَا أَفْنُهَا، وَبِهَا ذَائِبُهَا

قال: وقال الكَنَازُ الجرمي:^(٦)

* بِهَا أَفْنُهَا وَبِهَا ذَائِبُهَا *

بالباء.

وهو الأيْدُ والآدُ، للقُوَّة. قال الله، جَلُّ ثَنَائِهِ:^(٧) ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أَي: بِقُوَّة. وقال:^(٨) ﴿وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا لَدَا الْأَيْدِي﴾. ثم قال العَجَّاج:^(٩)

مِنْ أَنْ تَبَدَّلْتُ، بِأَيْدِي، آدَا لَمْ يَكْ يَنْأَدُ، فَأَمْسَى أَنْأَدَا

وقال الأعشى:^(١٠)

قَطَمْتُ، إِذَا خَبَّ رِبْعَانُهَا، بِعَرَفَاءَ، تَنْهَضُ فِي آدِهَا

(١) ورد هذا الباب في الأصل و ط بعد الباب ٦ . ب: باب قِع وقاع.

(٢) من النسخ.

(٣) في النسخ «الذام والذين والذان والذاب». وهو المناسب للشاهد الشعري.

(٤) سقط «واحدة... وقال» من ك و س، و«الأخرى... قال» من م.

(٥) نيس بن الخثيم. ديوانه ص ٢٧ والتهذيب ص ١٣٢. والمفلولة: الموزومة. والأف: الفساد والحمق.

(٦) التهذيب ص ١٣٢ ومعجم الشعراء ص ٢٤٧ وتهذيب الألفاظ ص ٢٢٥ - ٢٢٦. وفي النسخ: «كناز الجرمي». وفي

حاشية ك عن ابن السيرافي صلة للشاهدين مع بيان للقافيتين.

(٧) الآية ٤٧ من سورة النازيات.

(٨) الآية ١٧ من سورة ص.

(٩) ديوانه ٢: ٢٨٢ والتهذيب ص ١٣٢. ويناد: يعطف. وفي حاشية ك عن ابن السيرافي صلة البيتين مع الشرح.

(١٠) ديوانه ص ٧١ والتهذيب ص ١٣٣. وقطعت أي: اجتزت البيداء. وخب: اطرده وتتابع. والربعان: السراب.

والعرفاء: الناقة الطويلة العنق. وفي حاشية ك عن ابن السيرافي صلة البيت مع الشرح.

فإن قيل: أنت تنسى ما بين العلماء الأفذاذ المتقنين، من خلاف في توظيف هذه العلامات. فالجواب: أن خلافهم متوضّع في الفاصلة المنقوطة، وقليل من مواقع النقطة. وهذا أمر قد عرضنا لشيء منه، حين أغفلنا الفاصلة المنقوطة لما تحمله من تسيّب وإشكال، واقترحنا تعيين موقع النقاط. أما الخلافات الباقية فقد تقع بينهم في الصفحة مرة واحدة، وليس في مثل هذا كبير إشكال. والخلاف المنهجي معتبر، ويكون فيه توجيه بحسب الفهم للمضمون وتواصلاته، ولا يسوّغ لأحد استمراره في العشوائية والفوضى والتسيّب والاضطراب.

هذا هو المبدأ النظري، تنطلق منه الإجراءات التنفيذية بالتزام الدقة والوفاء، للتعبير عما تتلقفه السطور من مقاصد الأداء الصوتي في الكلام. ويكون استخدام ذلك في الشعر والنثر، كما فصلنا قبل، وفي النصوص النبوية المشرفة دائماً، وفي الآيات الكريمة، حين ترد بين تضاعيف الأبحاث والدراسات والنشرات التراثية المحققة. بل إنه ليجوز وضع ذلك أيضاً في المصاحف الشريفة، وهي بالرسم العثماني التوقيفي المعروف.

فقد طُرح هذا الموضوع على لجنة الفتوى في الجامع الأزهر منذ ٧٠ سنة، حين كان للأزهر رجال يتكلمون من قلوبهم عن علم وتقوى وصلاح وجهاد، فصدر عنها الجواب أن اللجنة لا ترى مانعاً منه،^(١) شريطة ألا يسبب لبساً على القارئ. واحتجت لذلك بما أضيف إلى المصاحف، من علامات التجويد والإعراب والإعجام والوقف والتعشير، ويقول الزيلعي من علماء الحنفية عنه: هو وإن كان مُحدثاً فمستحسن. وكم من شيء يختلف باختلاف الزمان والمكان!

(١) مجلة الرسالة المصرية ٢١٦: ١٣٩٥ في ٢٣ آب ١٩٣٧.

على أنه لا بد من إشارة مهمة هنا، وهي أنه قد يُضطرّ الكاتب أو المحقق أن يخالف بعض تلك الأصول الترقيمية المقررة، حين تطول العبارات جداً، أو تجتمع علامات مختلفة أو متماثلة، أو تتداخل وتتعاظّل في أمكنة متقاربة من العبارة، أو حين يكون قطع اضرائي للفقرات، كالذي تحصّل لديّ في: تفسير الجلالين.^(١)

ولكم عانيت في تثبيت ما وضعته من علامات، في الكتب المؤلفة والمحققة! فقد طالما تدخل راصفو الأحرف والمشرفون على الطباعة فيما سجلته بقلمني من ذلك، تدخلوا بالتبديل والتقحم والحذف والزيادة، تعالماً وتفاصحاً بما أرى أنه من الربا في حفظ الأمانات. وكنت أحاول إصلاح ما أمكن من خياناتهم للأمانة، ولكن هيئات هيئات! فنزعت الكثير الكثير، وعدلت ما تيسّر، وبقيت آثار من الربا المحرّم. فمعذرة إن وقفت في كتبي على شيء من ذلك.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرًا.

(١) انظر تفسير الجلالين الميسر ص(ع - ف) من المقدمة.

المحتوى

٥	المقدمة
١٣	الفصل الأول: التعبير الصوتي:
١٥	الرمزية اللغوية
١٨	رموز عربية
٢٥	نماذج مصورة من المخطوطات
٣٥	نماذج مصورة من كتابات المستشرقين
٥١	الفصل الثاني: الترقيم التعبيري في اللغة العربية:
٥٢	البحث والتصنيف
٥٥	علامات الترقيم العربية
٦٠	الترقيم وإشارات المرور
٦٣	مخاطر العشوائية
٦٦	نماذج لتوظيف علامات الترقيم
٧٢	المحتوى